جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

المضاعف الرباعي(زَلزَل)
وما اشتق منه في القرآن الكريم بين الحقيقة والمجاز
دراسة بلاغية تحليلية

إعداد

شيماء السعيد عبد الوهاب موسى شندي

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات ببورسعيد- جامعة الأزهر

(العدد الثامن والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. مايو)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

المضاعف الرباعي(زَلزَل) وما اشتق منه في القرآن الكريم بين الحقيقة والمجاز دراسة بلاغية تحليلية.

شيماء السعيد عبد الوهاب موسى شندي

قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد، جامعة الأزهر الشريف، مصر.

البريد الإلكتروني: shymaalsydbdalwhab@azhar.edu.eg

الملخص:

في هذا البحث استقراء تام للمواضع الواردة في مادة (زَلزَل) وما اشتق منها في القرآن الكريم، وبيان المواطن التي استعمل فيها هذا اللفظ بمعناه الحقيقي، وهو الزلزال المخبر بوقوعه وقت قيام الساعة، وكذلك التي جاء فيها بمعناه المجازي، وهو الاضطراب والخوف والفزع، ودراسته حسب وروده في النص القرآني، والتعرف على أسرار التعبير بالمضاعف الرباعي، وإيضاح سماته وخصائصه وأسراره ودقائقه في القرآن الكريم، وملاءمته للسياق والمقام، والكشف عن إعجاز القرآن الكريم البلاغي في انتقائه واصطفائه لهذا اللفظ خاصة في تلك المقامات والسياقات الدلالية، وتتبعه بمختلف دلالته تبعًا للمقام، ووفقًا لمقتضى الحال، ثم تحليل الآيات الواردة فيها تحليلًا بلاغيًا وافيًا يتضمن الوقوف على كافة الأسرار والنكات البلاغية التي اتضحت من خلال هذا البحث، ولم أقف على دراسة بلاغية تناولت الفعل المضاعف الرباعي (زَلزَل) وبينت مواضعه في الكتاب الحكيم، وحددت المواضع التي استعمل فيها بمعناه الحقيقي، والمواضع التي استعمل فيها بمعناه المجازي؛ لذا آثرت الحديث عنه في هذا البحث، وأرجو أن أكون وفقت في تناوله ودراسته على الوجه الأمثل، وإن وقع مني خطأ أو سهو أو نسيان فأرجو أن يغفر الله لي، وقد انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة، المجاز، القرآن الكريم، المضاعف الرباعي، زَلزَل.

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful

The quadruple multiplier (Zalzal) and what was derived from it in the Noble Qur'an between truth and metaphor a rhetorical and analytical study.

Shaima Al-Saeed Abdel Wahab Mousa Shendi
Department of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Port Said, Al-Azhar University, Egypt.
Email: shymaalsydbdalwhab@azhar.edu.eg

Abstract:
In this research is a complete extrapolation of the places contained in the article (earthquake) and what is derived from it in the Holy Qur'an, and the statement of the citizens in which this word was used in its true meaning, which is the earthquake informant of its occurrence at the time of the hour, as well as the one in which it came in its figurative sense, which is turmoil, fear and panic, and studying it according to its occurrence in the Qur'anic text, and identifying the secrets of expression with the quadruple multiplier, and clarifying its features, characteristics, secrets and subtleties in the Holy Qur'an, and its suitability to the context and maqam, and revealing the miracle of the Qur'an Al-Karim Al-Balaghi in his selection and selection of this word, especially in those maqams and semantic contexts, and follow it with its various significance according to the maqam, and as the case may be, and then analyze the verses contained therein in a thorough rhetorical analysis that includes standing on all, I did not come across a rhetorical study that dealt with the quadriliteral doubled verb (Zalzala) and clarified its positions in the Holy Book, and determined the positions in which it was used in its literal meaning, and the positions in which it was used in its figurative meaning; therefore, I preferred to talk about it in this research, and I hope that I have succeeded in dealing with it and studying it in the best way, and if I made a mistake, oversight, or forgetfulness, I hope that God will forgive me. This research is organized into an introduction, a preface, two chapters, a conclusion, a list of sources and references, and an index of topics.

Keywords: Truth, Metaphor, Holy Quran, Quadruple multiplier, Earthquake .

"**المقدمة**"

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركاً يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، أمدنا بالقرآن العظيم فكان مصدر الإعجاز والبلاغة والبيان، وأصلي وأسلم على النبي خير الرسل وخاتم النبيين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى أصحابه، والتابعين، ومن سار على هديه، واستن بسنته إلى يوم الدين...

"وبعد"

فإن كتاب الله المعجز الذي نزَّله على نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم– في قوم اشتهروا بالفصاحة، وأوتوا من البلاغة حظًا وافرًا، وقسطًا عظيمًا، وقد حوى القرآن العظيم دقائق وأسرار ومكنونات جمَّة، فعلى الرغم من كثرة الدراسات التي لا تعد ولا تحصى التي تناولت القرآن الكريم بالدراسة والتحليل والتفسير وغيرها من الدراسات إلا أنها لم تقف إلا على النذر اليسير من هذه الأسرار وتلك المكنونات.

وإذا تأملت القرآن وجدته في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلًا من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها(١).

وعند قراءة آيات الذكر الحكيم تقف على أسرار ودقائق ومكنونات يقف العقل لأول وهلة عاجزًا عن فهمها واستيعابها.

وقد وقف علماء النحو واللغة عند الفعل المضاعف الرباعي، وبينوا دلالته

(١) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني–أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) صـ٢٧–تـح/ السيد أحمد صقر– الناشر: دار المعارف – مصر–الطبعة: الخامسة ١٩٩٧م.

اللغوية وقيمته الصوتية، وأثر تكرار صوت الحرف؛ إذ له عظيم الأثر في التأثير في نفوس السامعين؛ لما يحمله من دلالة لغوية وصوتية جعلته ينفرد بمميزات لم تكن في غيره من الأفعال، ومن هذه الأفعال الواردة في القرآن الكريم وسوس، عسعس، حصحص، كبكب، وزلزل، وهذا الفعل الأخير هو محل الدراسة في هذا البحث –إنشاء الله تعالى–.

ومن الملاحظ أن الآيات التي تشتمل على الفعل (زَلزَل) وبعض مشتقاته تنقسم الى قسمين:–

القسم الأول: يحمل المعنى الحقيقي للفعل (زَلزَل) وهو زلزلة الأرض ثم قيام الساعة.

القسم الثاني: يحمل المعنى المجازي للفعل (زَلزَل)وهو زلزلة النفس بمعنى الاضطراب والانزعاج والفزع والخوف.

ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع :

الأنس بكتاب الله تعالى، وتدبر آياته وفهم مبانيه وألفاظه ومعانيه، وكذلك الوقوف على إعجاز القرآن، ونظمه المحكم، ومعرفة هل الإعجاز القرآني يرجع إلى اللفظ والمعنى معًا أم إلى أحدهما فقط، فقد " تحسب ألفاظَه هي التي تنقاد لمعانيه، ثم تتعرف ذلك وتتغلغل فيه فتنتهي إلى أن معانيه منقادة لألفاظه، ثم تحسب العكس وتعرفه متثبتًا فتصير منه إلى عكس ما حسبت، وما إن تزال مترددًا على منازعة الجهتين كلتيهما، حتى ترده إلى الله الذي خلق في العرب فطرة اللغة، ثم أخرج من هذه اللغة ما أعجز تلك الفطرة؛ لأن ذلك التوالي بين الألفاظ ومعانيها، وبين المعاني وألفاظها، مما لا يعرف مثله إلا في الصفات، الروحية العالية؛ إذ تتجاذب روحان قد ألَّفت بينهما حكمة الله فركبتهما تركيبًا مَزجيًّا بحيث لا يجري حكم في هذا التجاذب على إحداهما حتى يَشملها

جميعًا"[1].

ومما دفعني–أيضًا– لاختيار هذا الموضوع الرغبة في التعرف على أسرار التعبير بالمضاعف الرباعي، وبيان سماته وخصائصه، ومميزاته وأسراره ودقائقه في القرآن الكريم.

كما أنني لم أقف على دراسة بلاغية تناولت الفعل المضاعف الرباعي (زَلزَل) وبينت مواضعه في الكتاب الحكيم، وحددت المواضع التي استعمل فيها بمعناه الحقيقي، والمواضع التي استعمل فيها بمعناه المجازي؛ لذا آثرت الحديث عنه في هذا البحث، وأرجو أن أكون وفقت في تناوله ودراسته على الوجه الأمثل، وإن وقع مني خطأ أو سهو أو نسيان فأرجو أن يغفر الله لي.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

"**خطة البحث**"

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وضمنتها خطة الدراسة، والمنهج الذي أسير عليه.

التمهيد: تحدثت فيه عن الفعل المضاعف الرباعي "زلزل"، وذكرت آراء علماء النحو والصرف واللغة، ثم تحدثت عن دلالته الصوتية من خلال ذكر صفات حروفه عند أهل اللغة والتجويد، ثم ذكرت مواضع مجيئه في القرآن الكريم واستعماله بالمعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ثم ذكرت نبذة مختصرة عن الحقيقة والمجاز اللغويين عند أهل البلاغة.

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية– مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) صـ٣٦– دار الكتاب العربي – بيروت–الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م.

المبحث الأول: المضاعف الرباعي(زَلزَل) وما اشتق منه، واستعماله بمعناه الحقيقي.

وقد اشتمل المبحث الأول على مطلبين:-

المطلب الأول: موضع في سورة الحج قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾[الحج:١].

المطلب الثاني: موضع في سورة الزلزلة قوله تعالى:﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١].

المبحث الثاني: المضاعف الرباعي(زَلزَل) وما اشتق منه، واستعماله بمعناه المجازي، وهو زلزلة النفس بمعنى الاضطراب والانزعاج والفزع الخوف.

وقد اشتمل المبحث الثاني على مطلبين:-

المطلب الأول: موضع في سورة البقرة قوله تعالى:﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤]

المطلب الثاني: موضع في سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾ **[الأحزاب: ١١]**

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ثم تأتي الفهارس:

أولًا: فهرس المصادر والمراجع – ثانيًا: فهرس الموضوعات.

هذا، وقد قام البحث على المنهج الاستقرائي التحليليّ من خلال تتبع المواضع التي استعمل فيها الفعل (زَلزَل) وما اشتق منه استعمالًا حقيقيًّا، والمواضع التي استعمل فيها استعمالًا مجازيًّا، حيث وقع ترتيبها في كتاب الله – تعالى– ثم عرض المواضع التي استعمل فيها الفعل(زَلزَل) أو أحد مشتقاته

استعمالًا حقيقًا في مبحث خاص بها، وكذلك المواضع التي استعمل فيها الفعل وما اشتق منه استعمالًا مجازيًّا، ثم تحليل جزئيات كل موضع تحليلًا يهدف إلى بيان أثر لفظ (زَلزَل) أو أحد مشتقاته في التعبير القرآني والسياق، وإيثاره دون غيره من الأفعال، ومدى مطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة، ثم الكشف عن بعض الألوان البلاغية القرآنية، وبيان أسرارها ودقائقها ومكنوناتها .

وختامًا فإن هذا العمل قد ابتغيت به رضوان الله، فما كان فيه من توفيق فمن الله، وما كان فيه من خطأ أو سهو، أو زلل فمني ومن الشيطان.

"**التمهيد**"

أولًا: مادة (زلزل) من حيث التصنيف الصرفي:-

هو فعل مضاعف بوزن(فعلل)، ويسمى بالفعل المطابق "فاؤه ولامه الأولى من جنسٍ واحدٍ، وعينه ولامه الثانية كذلك، غير مدغم"(١).

وتأتي القيمة الصوتية التي يكتسبها هذا الوزن الصرفي من تكرار حروفه، فتكرار صوت الحرف يدل على تكرار الحركة كما جاء في العين:" كما يقال: صَرَّ يصِرُّ صَريرًا، وإذا خفف وأظهر الحرفين جميعًا، تحول الصوت من المد إلى الترجيع فضوعف؛ لأن الترجيع يضاعف كله في تصريف الفعل إذا رجع الصائت، قالوا: صَرْصَرَ وصَلْصَلَ، على توهم المد في حال، والترجيع في حالٍ "(٢).

وقد أكد ابن جني في كتابه الخصائص أن التضعيف يكون في الحرف الأقوى حيث يقول:" فلمَّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلًا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل، كما جعلوا تقطيعه في نحو: صرصر وحقحق، دليلًا على تقطيعه، ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام؛ لكراهية التضعيف في أول الكلمة، والإشفاق على الحرف المضعَّف أن يجيء في آخرها وهو مكان الحذف وموضع الإعلال، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على

(١) المفتاح في الصرف–أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) ٣٩صـ–حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحَمَد، كلية الآداب – جامعة اليرموك – إربد – عمان– مؤسسة الرسالة – بيروت–الطبعة: الأولى (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م).

(٢) كتاب العين –أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) باب (ص مع ر) ٢٣/٥ – تح/ د مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي– دار ومكتبة الهلال.

قوة الفعل، فهذا –أيضًا– من مساوقة الصيغة للمعاني"[١].

ثانيًا مادة (زلزل) من حيث الميزان الصوتي:

إن مجيء هذا البناء(زَلزَل) مضاعف الأصل يشعر بقوة دلالته على الحركة فقد جاء الفعل زلزل مضاعف الأصل بزنة (فعلل) تطابقت فيه الفاء واللام الأولى، والعين واللام الثانية، وهذا يرجع للقيمة الصوتية لحرفي الزاي، واللام، فالزاي تخرج من طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي[٢]، وهو حرف مجهور رخو مستفل منفتح مصمت صفيري، ومخرج اللام "ما بين أول حافة اللسان ومن أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ومما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية"[٣]، وهو حرف مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة مستفل منفتح منحرف.

يلاحظ في الحرفين اجتماعهما في صفة الجهر وهو" انحباس جريان النفس عند النطق بالحرف؛ لقوة الاعتماد على المخرج... وإنما لقبت بالجهر؛ لأن الجهر الصوت الشديد القوي، فلما كانت في خروجها كذلك لقبت به؛ لأن الصوت يجهر بها"[٤].

يحدثنا سيبويه عن الجهر قائلًا: "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع

(١)الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) ١٥٧/٢--الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتب–الطبعة: الرابعة.

(٢)المفتاح في الصرف صـ٣٩.

(٣) اللباب في علل البناء والإعراب– أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ) ٤٦٣/٢– تح/ د/ عبد الإله النبهان– الناشر: دار الفكر – دمشق– الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(٤) الميزان في أحكام تجويد القرآن – فريال زكريا العبد – صـ ٧٢– الناشر: دار الإيمان – القاهرة.

النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم"[١].

فاجتماع تلك الصفة في كلا الحرفين يشير إلى قوتهما وعلو صوتهما وشدة تأثيرهما وقوة الاعتماد عليهما في موقعيهما.

وفي افتراقهما من حيث كون الزاي حرفا رخوًا، وكون اللام حرفًا متوسطًا بين الشدة والرخاوة، لكونه انحرف عن مخرجه إلى مخرج غيره[٢]، فخرج من حروف الرخاوة ، فهو من الحروف الرخوة "لكنه انحرف به اللسان مع الصوت إلى الشدة، فلم يعترض في منع خروج الصوت «الشديد»، ولا خرج معه الصوت كله كخروجه مع «الرخو» فهو بين صفتين"[٣]، والزاي وإن كانت تنطوي تحت حروف الرخاوة التي تمتاز باللين والضعف إلا أن كونها مجهورة يشير من طرف خفي إلى القوة المدعومة بالحكمة والرفق واللين، أما انحراف اللام فقد أفاد جريان الصوت، وشدته؛ لانحراف اللسان معه يقول صاحب اللباب: " هو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت

(١) الكتاب– عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) ٤/٤٣٤–تح/ عبد السلام محمد هارون– الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة– الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٢) سمي بذلك؛ لانحراف اللسان مع صوته من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك، وبهذا خالف الشديدة والرخوة. اللباب ٣/٤٦٤– وكذلك لأنّ اللسان انحرف بهما مع الصوت من الرّخاوة إلى الشّدّة فلم يجر معهما الصوت كلّ الجري ولم يمتنع كلّ الامتناع" الكنز في القراءات العشر– أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ) ٢/١٧– تح/ د– خالد المشهداني–الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة–الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٣) الميزان في أحكام تجويد القرآن صـ٨٤.

كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام، وإن شئت مددت فيها الصوت، وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه ولم يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك"(١).

وقد اجتمعا معًا في صفات الانفتاح(٢) والاستفال.(٣)، والإصمات، فاجتماعهما في الانفتاح يشير إلى انفتاح اللسان عن الحنك عند النطق بهما فدل على سهولتهما وبساطتهما ومرورهما بسلاسة ورفق وامتداد، فيستقر في الأذهان، ثم ينتقل إلى الفهم والاستيعاب، ومن ثم إلى التأثير والاستقرار في الأعماق والوجدان.

واجتماعهما في الاستفال دلالة على ترقيقهما، وفي الإصمات دلالة على الامتداد والصعوبة ولكن ليست شديدة.

وقد استقلت الزاي بالصفير(٤)، الذي يحمل نوعًا من امتداد الصوت واستطالته وشدة أزيزه "فاعلم أن الزاي من حروف الصفير وفيها صوت ليس في غيرها، وامتداد الصوت فضيلة يجب محافظتها؛ لأنه نوع تخفيف وتحسين"(٥)

---

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٢) الانفتاح: لغةً: الافتراق، واصطلاحًا: هو افتراق اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فلا ينحصر الصوت بينهما، حروفه: جميع حروف اللغة العربية حروف انفتاح ما عدا حروف الإطباق الأربعة. الميزان في أحكام تجويد القرآن صـ٧٤.

(٣)الاستفال: لغة: الانخفاض، واصطلاحا: تنحيف الحرف بانخفاض اللسان عند النطق به- حروفه: ما تبقى من الحروف بعد حروف الاستعلاء. وترتب على الاستفال ترقيق الحرف. المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٤) الصفير: لغة: كل صوت يشبه صوت الطائر، واصطلاحا: هو خروج أحرف الصفير بصوت قوي يشبه صفير الطائر، حروفه: ثلاثة: (الزاي) و (السين) و (الصاد) الميزان في أحكام تجويد القرآن صـ٧٤ .

(٥) شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف – شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز أو =

وكأن الزاي لشدة صفيرها تنبه السامع وتوقظه إلى عظم ما جاء بعدها، وقوة أثره، وهذا ما اشتملت عليه اللام، والزاي صفيرية" لأن مجرى الصوت يضيق عند خروجه فينتج عن ذلك صوت يشبه صفير الطائر"(١).

ثالثًا: مواضع مجيء الفعل المضاعف (زَلزَل) وما اشتق منه في القرآن الكريم بترتيب مجيئها في البحث:-

الموضع الأول: قوله تعالى في سورة الحج :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾[الحج:١].

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة الزلزلة:﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١].

الموضع الثالث: قوله تعالى في سورة البقرة:﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الموضع الرابع: قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب:١١].

رابعًا: الحقيقة والمجاز اللغويين عند أهل البلاغة.

الحقيقة اللغوية: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب.

فقولنا: "المستعملة" احتراز عما لم يستعمل؛ فإن الكلمة قبل الاستعمال

=

دنقوز (المتوفى: ٨٥٥هـ) صـ٩٢- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الثالثة، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

(١) الميزان في أحكام تجويد القرآن صـ٧٤.

لا تسمى حقيقة، وقولنا: "فيما وضعت له" احتراز عن شيئين:

أحدهما: ما استعمل في غير ما وضعت له غلطًا؛ كما إذا أردت أن تقول لصاحبك: "خذ هذا الكتاب" مشيرًا إلى كتاب بين يديك، فغلطت فقلت: "خذ هذا الفرس".

والثاني: أحد قسمي المجاز: وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعًا له، لا في اصطلاح به التخاطب، ولا في غيره؛ كلفظة الأسد في الرجل الشجاع.

وقولنا: "في اصطلاح به التخاطب" احتراز عن القسم الآخر من المجاز؛ وهو ما استعمل فيما وضع له، ولا في اصطلاح به التخاطب؛ كلفظ "الصلاة" يستعمله المخاطِب بعرف الشرع في الدعاء مجازًا.

تعريف المجاز وأقسامه: مفرد، ومركب.

أما المجاز المفرد: فهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، في اصطلاح به التخاطب، على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته.

فقولنا: "المستعملة" احترازًا عما لم يستعمل؛ لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازًا كما لا تسمى حقيقة، وقولنا: "في اصطلاح به التخاطب" ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازًا؛ فإنه وإن كان مستعملًا فيما وضع له في الجملة، فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب. وقولنا: "على وجه يصح" احتراز عن الغلط [1].

(١) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة-عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) ٣/٤٥٦- ٣/٥٦٥/-٥٦٦-مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، وينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) صـ٢٦٧- ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي- الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

أقسام المجاز المفرد: أولًا: المجاز المرسل، هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه.

ثانيًا: الاستعارة: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.

أما المجاز المركب: هو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل؛ للمبالغة في التشبيه؛ أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه.

"المبحث الأول"

المضاعف الرباعي(زَلزَل) وما اشتق منه واستعماله بمعناه الحقيقي.

المطلب الأول: في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ[1] ﴾[الحِج:١]

(١) سبب نزول الآية عن عمران بن حصين، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لما نزلت (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾[الحِج:١] – إلى قوله – {ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ٢]، قال: أنزلت عليه هذه الآية وهو في سفر، فقال: «أتدرون أي يوم ذلك؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار، فقال: يا رب وما بعث النار؟ قال: تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة "، قال: «فأنشأ المسلمون يبكون»، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «قاربوا وسددوا، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية»، قال: «فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير»، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبروا، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبروا، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبروا قال: ولا أدري؟ قال: الثلثين أم لا؟. «هذا حديث حسن صحيح– سنن الترمذي– محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) باب ومن سورة الحج[٣١٦٨]–٥/٣٢٢–تح/أحمد محمد شاكر –محمد فؤاد عبد الباقي– إبراهيم عطوة عوض– شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر –الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م– وقد صححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان –محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) باب إخباره–صلى الله عليه وسلم– [٧٣١٠] ١٠/٣٦٢– ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)– أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)– دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية –الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – =

في هذا الموضع وردت مادة (زَلزَل) مشتقًا منها الاسم، وقد جاء معرفًا بالإضافة في قوله:(زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ).

افتتحت سورة الحج بمطلع مخيف يفزع القلب، ويذهل العقل، ويهز المشاعر والوجدان، حيث نادت جميع الخلائق وأمرتهم بالتقوى بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه، وبينت أن الزلزلة التي تسبق قيام الساعة تذهل العقول، وتجعل الناس كالسكارى من هول المشهد وفظاعته.

وعندما تناولت الآية القرآنية الحديث عن الزلزلة التي تسبق قيام الساعة، اتكأت على الفصل بين الجمل لشبه كمال الاتصال، في موضعين: فأما الموضع الأول، فقد وقع الفصل بين قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ) وقوله: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) وقد تضمنت جملة النداء المعقب بالأمر سؤالًا فحواه، لماذا يأمرنا ربنا بالتقوى؟، فجاءت الجمل التعليلية المؤكدة بإن جوابًا لها في قوله:

=

٢٠٠٣م.

مناسبة السورة لسابقتها" لما انجر الكلام في خاتمة السورة المتقدمة إلى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها، بدأ –سبحانه– في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها؛ حثًا على التقوى التي هي أنفع زاد، قال تعالى:(يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) ومناسبة بداية سورة الحج لنهاية سورة الأنبياء أن كتاب الله ذكر في نهاية سورة الأنبياء حال الأشقياء والسعداء، وما يكون عليه الفريقان يوم الفزع الأكبر، وأعذر لمشركي قريش بعد أن أنذرهم وتوعدهم، واحتكم إلى الله في شأنهم، ثم جاءت=

=بداية سورة الحج تجدد تحذير الشاكين، وتخويف المشركين، فأشارت إلى زلزلة الساعة وشدة هولها وذكرت ما أعد الله لمنكريها، ونبهتهم على أحقية البعث ووقوعه بتطويرهم في خلقهم أطوارًا، وبهمود الأرض ثم اهتزازها بالنبات أزهارًا وثمارًا. "التيسير في أحاديث التفسير– محمد المكي الناصري(المتوفى: ١٤١٤هـ) ١٥٤/٤–الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان–الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

(إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) فهي "تعليل لموجب الأمر بذكر أمر هائل، فإن ملاحظة عظم ذلك وهوله وفظاعة ما هو من مبادئه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة "[1] ، ووقوعها جوابًا عن هذا السؤال كان سببًا في ترك العطف، حيث إنه لا يعطف الجواب على السؤال؛ لما يقع بينهما من اتصال وترابط وانسجام قوي، ولعل إخراج الكلام هذا المخرج من شأنه أن يقرر المعنى ويؤكده؛ لأنه يعمل على تحريك العقول وإثارة الأذهان؛ لما يكتنف الجملة التي أثارت سؤالًا من قدر من الغموض والإبهام يدفع المتلقي إلى الوقوف على الإيضاح والبيان، فإذا جاءت الجملة التي نزلت منزلة الجواب زال الغموض، وانكشف المبهم، فتمكن المعنى في النفس فضل تمكن، واستقر في الأعماق والوجدان.

وقد جاءت جملة الجواب مؤكدة بـ(إن) في مقام الشك والإنكار والتأكيد على أمر مهم، فالتعبير بها مناسب للمقام والسياق؛ إذ المقام مقام خطاب بني البشر وتنبيههم إلى طريق الله، وأمرهم بالتقوى، وهؤلاء منهم المنكرون؛ لذا استدعى ذلك قوة التأكيد وهذا ما عليه (إنَّ)، وفي بيان أفضليتها وأن التعبير بها يجعل الكلام مترابطًا ومتآلفًا يحدثنا الإمام: "هل شيء أبين في الفائدة، وأدل على أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل، أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغًا واحدًا وكأن أحدهما قد سبك في الآخر؟ هذه هي الصورة، حتى إذا جئت إلى "إن" فأسقطتها، رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول، وتجافى معناه عن معناه، ورأيته لا يتصل

(١)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ١٠٦/٩–المحقق: علي عبد الباري عطية– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

به ولا يكون منه بسبيل"[١].

وفي فائدة التعبير بـ(إن) دون الفاء دلالة على أن (إن) آكد وأقوى وأكثر بيانًا للمعنى " ثم لا ترى "الفاء" تعيد الجملتين إلى ما كانتا عليه من الألفة، ولا ترد عليك الذي كنت تجد "بإن" من المعنى "[٢].

وفي إسناد الزلزلة[٣] إلى الساعة مجاز عقلي علاقته الزمانية، فكأن الساعة هي التي أحدثت تلك الزلزلة، وقرينة ذلك استحالة صدور تلك الزلزلة من الزمان، وإنما زُلزِلت بأمر الخالق، والتعبير به أفاد المبالغة في إظهار شدة هذا الوقت وصعوبته.

ويكمن فضل التعبير بلفظ(زلزلة) في بيان شدة حركة الزلزلة ؛ لأن لفظ الزلزلة يفيد الحركة الشديدة والاضطراب لسببين: الأول: من تكرار الحرف،

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني– أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) صـ٣١٦.– تح/ محمود محمد شاكر أبو فهر– مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة–الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) المرجع نفسه صـ٢١٦.

(٣) الزلزلة: التحرك الشديد والإزعاج العنيف، بطريق التكرير، بحيث تزيل الأشياء من مقارها، وتخرجها عن مراكزها، حقيقتها: تحرك عنيف في جهة من سطح الأرض من أثر ضغط مجاري الهواء الكائن في طبقات الأرض القريبة من ظاهر الأرض، وهي من الظواهر الأرضية المرعبة ينشأ عنها تساقط البناء". التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ١٨٧/١٧– الدار التونسية للنشر – تونس– سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، وقد تحدث عنها صاحب كتاب= =فتح القدير قائلًا "هي أحد أشراط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة". فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ٥١٤/٣– دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت–الطبعة:الأولى١٤١٤هـ.

فالحرف الأول والثالث من جنسٍ واحِد، والحرف الثاني والرابع من جنسٍ واحِد، فهذا التكرار يفيد حركة واضطرابًا، الثاني: يفيد هذا اللفظ الحركة والاضطراب من التضعيف الموجود في كلمة (زلَّ) فهذا التضعيف يفيد –أيضًا– شدة وحركة واضطرابًا.

فالأمر إذن شديد ومهول ومخيف حقًا، ومجيء هذا اللفظ بعد الأمر بالتقوى؛ ليبين أنه يجب على الإنسان أن يتقي ما سيأتي بعد من عذاب الله – تبارك وتعالى– ويتخذ استعدادًا لذلك في دنياه وذلك يكون بتقوى الله –جل وعلا– (١).

وقد جاء التعبير بهذه الكلمة مناسبًا وملائمًا للسياق والمقام؛ إذ المقام مقام ترويع وتهويل من هول تلك الحركة العنيفة، فهي كلمة موحية ومعبرة عن المشهد ومشعرة بالنهاية العظمى التي تفصل بين الحياتين، دار البقاء ودار الفناء، وفيها تنبيه وإيقاظ للسامعين ولفت انتباههم إلى أن الساعة لا تأتي إلا بغتة فلابد أن تعدوا العدة وتستعدوا لهذا اللقاء.

وقد آثر التعبير بها دون غيرها؛ ليفيد بيان أقصى غاية المبالغة في وصف أهوال ذلك المشهد المهول، وأثره في اهتزاز القلوب، وارتعاد النفوس، فقد استطاعت نقل الصورة التي حدثت فوق سطح الأرض وإظهار قوتها وشدتها وعنفوانها.

وقد اجتمع العذاب الحسي والعذاب النفسي تحت هذه الكلمة، فهي فوق ما تصفه وترسمه من أحداث حقيقة تحدث وقت قيام الساعة إلا أنها تبرز وتوضح شدة الهول وقمة الفزع، وترسم مشاعر الخوف بأعلى درجاته، وهذا بدوره يؤثر

(١) ينظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن– محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ٥٦/٩– دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان–عام النشر : ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م .

في نفوس السامعين فيتعمق الإيمان بالله واليوم الآخر في قلوبهم.

وفي تكرار صوت الزاي واللام تكرار للحركة الشديدة والاضطراب العظيم والهزة العنيفة التي أحدثتها الزلزلة، وهناك صفات مشتركة تجمع هذين الحرفين، ومنها الجهر، واشتراكهما في تلك الصفة أحدث نوعًا من الانسجام الصوتي، والتناسق الإيقاعي والتناغم، والتلاؤم الذي استطاع إظهار تلك الهزة المباغتة، والحركة المفاجئة التي حدثت للأرض والتي اتسمت بكثرة الأهوال، وتتتابعها وتعاقبها، وسرعة الأحداث، وتسارعها وتصاعدها دون توقف، فقد أدى كل ذلك إلى بيان شدة فزع الخلائق، وزيادة ترويعهم والتأثير في نفوسهم، بالإضافة إلى صوت (الزاي)، والتي استطاعت لقوة جرسها، وشدة صفيرها، لما تحمله من امتداد الصوت واستطالته وشدة أزيزه، زيادة المبالغة والتهويل في إظهار الحدث؛ لإيقاظ حس المتلقي وتنبيهه؛ للوقوف على تلك الصورة المهولة المرعبة ومن ثم تأثره بها.

وفي التعبير بلفظ الساعة دون القيامة[١] إيحاء بشدة "قربها الزمني، وكأنها هذا الوقت المحدود"[٢]، بخلاف لفظ القيامة، فهو يصور قيام الناس من

(١) أو غيره من الأسماء التي وردت في كتاب الله –تعالى– كالصاخة والقارعة وغيرها، فهذه الأسماء أو الصفات الكثيرة تدل على عظم شأن ذلك اليوم، يقول القرطبي: «وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه ... فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله –تعالى– في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة». التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) صـ٥٤٤–تح د/ الصادق بن محمد بن إبراهيم–الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض–الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن–عبد السلام أحمد الراغب –صـ٣٢٦– فصلت للدراسات والترجمة والنشر– حلب– الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

القبور[١]، وهذا خلاف المراد؛ إذ المراد الإشعار بأنها ساعة عصيبة شديدة يعقبها أهوال وأحداث مخيفة لا تستطيعون تحملها بلا شك فلا سبيل إلا التقوى.

وفي وصف الساعة بالنكرة (شيء) [٢]؛ للإبهام وفي هذا الإبهام مزيد من التهويل لشأنها، والترويع من أحداثها، أي "زلزلة الساعة لا يعرف كنهها إلا بأنها شيء عظيم، وفي ذلك إيذان بأنَّ العقولَ قاصِرة عنْ إدراك كُنهِها والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلَّا على وجه الإبهامِ"[٣].

وفي التعبير بالوصف(عظيم) إيماء إلى شدة الحال في هذا اليوم، ولفت لأنظار الكافرين إلى أن يتدبروا الأمر ويعتبروا، ومن ثم يرتدعوا، وكأن سؤالًا طُرِح فحواه، إذا كان الهول والاضطراب والانزعاج حال الجماد في ذلك اليوم، فكيف حالكم أنتم، فهل لكم أن تستيقظوا من غفلتكم، وترتدعوا وترجعوا عن عنادكم؟ [٤].

أما الموضع الثاني: من مواضع الفصل لشبه كمال الاتصال، فقد جاء في قوله: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) حيث تضمن سؤالًا فحواه: ماذا يحدث لنا حين نرى تلك الزلزلة العظيمة؟ فجاء الجواب في قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٢) الشيء: اسم لكل شديد، أي أن الألفاظ تضيق عن معانيها، فلا يتسع لها لفظ إلا ما يكون لفظًا عامًا غير محدود، لأن شدتها غير محدودة، ولا يحدها نطاق. زهرة التفاسير ٤٩٣٨/٩.

(٣)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ٥١٠/٣- تح/ أحمد عبد الله القرشي رسلان- د/ حسن عباس زكي- القاهرة- سنة الطبع ١٤١٩هـ..

(٤) ينظر تفسير المراغي- أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ٢١٨/٣٠-شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ...) حيث وقعت هذه الجملة جوابًا عن هذا السؤال، ويتجلى ذلك في أن قوله: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ) فيه إبهام وغموض وخفاء، هو الذي أثار هذه الحركة النفسية لدى المخاطب، فجاءت الجملة بعده: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ...) استجابة لهذه الحركة النفسية التي هجس بها وجدان المخاطب، فتبين المبهم، واتضح الغامض، وفي ذلك من التأكيد والتنبيه ما لا يخفى.

وتكمن بلاغة الفصل لشبه كمال الاتصال فيما يتضمنه من إيضاح بعد إبهام؛ حيث قامت الجملة الأولى: (إن زلزلة الساعة) على الإبهام والإجمال المشوب بالتهويل والتجهيل، ويتجلى ذلك في التعبير بالنكرة (شيء) والتي تدل على شدة الترويع والتهويل من تلك الزلزلة، وهذا الإبهام والإجمال يحمل نوعًا من تنبيه المتلقي، وإيقاظ حسه، ولفت انتباهه لما سيأتي بعد هذا الإجمال، فلما جاء التفصيل الذي يحمل نوعًا من التهويل والتخويف الذي لا حد له في قوله:(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ...) بينت الآية ذلك المشهد المهول، ووضحت صورته، فقد جسدت حال تلك المذهلة عن رضيعها، والحامل التي يسقط جنينها، والناس السكارى من شدة الهول والفزع من هذا المشهد المهيب، فالعقل لا يمكن أن يستوعب هذا المشهد والذي وقعه شديد على البشر، فأدى هذا التفصيل والإيضاح والبيان إلى استقرار المعني، وتقريره في ذهن المتلقي مرتين: مرة على سبيل الإجمال والإبهام المشوب بالتشويق، وأخرى على سبيل الإيضاح والتفصيل، وقد لاح في الأفق من خلال الفصل لشبه كمال الاتصال المتضمن للإيضاح بعد الإبهام قيام التعبير القرآني على الوصل للتوسط بين الكمالين، حيث وقع بين قوله تعالى: (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ) وقوله:(وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا) وقوله:(وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ) حيث وقع الاتحاد في المسند إليه، واتفق المسند في الخبرية لفظاً

ومعنى، مع وجود تناسب تام بينها في المعنى، فالجملة الأولى، تخبر بأن الزلزلة تذهل المرضعة، والثانية، تفيد بأنها تكون سببًا في أن تضع الحامل حملها، والثالثة، تبين رؤية الناس كالسكارى، فقد أفاد الوصل بين الجمل كذلك التنويع بين صنوف الناس وقت الزلزلة، وفيه دلالة على المبالغة في تصوير العذاب بقصد إثارة مشاعر الخوف بدرجاته، ومستوياته المتعددة، فالناس يتأثرون عمومًا عن طريق الحواس، لذلك كان التصوير الحسي للعذاب؛ لتحقيق التخويف منه... فالتنويع في الصور جاء ليشمل جميع المؤثرات في النفس بمستوياتها، ودرجاتها(١).

وفي التعبير بالمضارع (ترونها، تذهل، تضع) استحضار للصورة وسرد الأحداث وكأنها مشاهدة ومرئية رأي العين، وقد آثر التعبير بالذهول دون النسيان أو الغفلة في قوله:(تَــذْهَلُ)؛ لأن الذهول هو "نسيان ما من شأنه ألا ينسى لوجود مقتضى تذكره، إما لأنه حاضر أو لأن علمه جديد وإنما ينسى لشاغل عظيم عنه، فالذهول أدل على شدة التشاغل"(٢) ، وفيه "شغل يورث حزنًا ونسيانًا"(٣)، وأما الغفلة فهي "عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل، سواء بقيت صورته أو معناه في الخيال، أو الذكر، أو انمحت "(٤)، أما النسيان

(١) ينظر وظيفة الصورة الفنية في القرآن صـ٤٢٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٩/١٧.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ٢٩/-١٨- تحقيق مجموعة من المحققين- الناشر: دار الهداية.

(٤)الفروق اللغوية- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) صـ٣٨٩-حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم-الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

فهو" ترك الإنسان الشيء، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره"(١).

وفي تلك الفروق إشارات ولطائف عدة تكمن في: أن الأم الذاهلة بخلاف الغافلة والناسية؛ لأنها يعتريها حيرة شديدة، ودهشة واضطراب وفزع وروع يصرف ذهنها عن رضيعها، وفيه دلالة على تبدد الفكر وشروده من شدة الهول والوجل، بخلاف تلك الغافلة فهي التاركة رضيعها دون إرضاع لعدم تذكرها وتنبهها وتيقظها لحاله؛ إهمالًا وتفريطًا من غير نسيان، فهو لم يخطر ببالها؛ لانشغالها بغيره، أما الناسية فهي التي مُحِي من ذهنها ذلك الفعل بالكلية، فليس في مقدورها تذكر رضيعها وحاجته إليها، إما لانشغالها بغيره أو بسبب ضعف في ذاكرتها، ففيه ترك وتخل دون فزع وهول واضطراب، فالتعبير بالذهول جاء مناسبًا للمقام والسياق وهو شدة الفزع والهول من قوة الزلزلة التي تبصرها العيون فتذهل العقول وكأنها غائبة عن الوعي من شدة الهول وفرط الرعب والفزع.

وفي تنويع الخطاب بفعل الرؤية بين خطاب الجمع في قوله:(تَرَوْنَهَا) ثم خطاب المفرد بقوله:(وَتَرَى ٱلنَّاسَ) لما أن "المرئي في الأول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع، وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من إفراد المخاطب على وجه يعم كل واحدٍ منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة، فإن المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره؛ لأن مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها، كأنه قيل وتصير الناس سكارى، وإنما أوثر عليه ما في التنزيل؛ للإيذان بكمال ظهور تلك الحال فيهم وبلوغها من الجلاء إلى حد لا يكاد يخفى على أحد"(٢).

(١) تاج العروس ٤٠/٧٥ .

(٢) تفسير الألوسي ٩/١٠٩

وفي التعبير بضمير الشأن في قوله:(تَرَوْنَهَا) العائد إلى الزلزلة إيحاء بشدة الزلزلة وقوتها، والتعظيم والتفخيم والتهويل من أمرها، عن طريق الغموض والإبهام والخفاء الذي يكتنفه، وفي ذلك تنبيه للمتلقي، وإيقاظ لحسه، وإثارته للإصغاء لما يأتي بعده فإذا ما جاء الكلام بعده استقر في النفس، وعلق بالوجدان(١).

وقد اشتملت تلك الآية على التصوير البياني في أربع صور؛ لبيان قوة الزلزلة، وشدة إزعاجها وأثرها في نفوس الخلق وقت وقوعها، الصورة الأولى في قوله: (﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ) والمعنى أنها "ذهلت عن أولادها بغير فطام"(٢)، والثانية في قوله: (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا) أي " ألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام"(٣)، وهما كنايتان عن شدة الهول والفزع العارض لتلك الأم وقت وقوع الزلزلة، وفي تأكيد شدة الهول والفزع الذي ألم بالأم الذاهلة في الصورة الأولى عبر بالموصولية عن المذهول عنه (وليدها)؛ للدلالة على أنها "تذهل عن شيء هو نصب عينيها وهي في عمل متعلق به وهو

(١) بلاغة إيراد ضمير الشأن أو القصة في القرآن الكريم ترجع إلى كونه ضميرًا لا مرجع له، تسمعه النفس فتتهيأ لسماع ما يأتي بعده، لأن الأسلوب العربي لا يأتي بهذا الضمير إلا في المواطن التي يكون فيها أمر مهم، تراد العناية به، فيكون هذا الضمير أداة للتنبيه، يدفع المرء إلى الإصغاء، فإذا وردت الجملة بعده استقرت في النفس، واطمأن إليها الفؤاد" من بلاغة القرآن الكريم – أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) صـ١٠٦.–الناشر: نهضه مصر – القاهرة–عام النشر: ٢٠٠٥م.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن– محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ٥٦٢/١٨ –تح/ أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة–الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها.

الإرضاع"[١]، وبلاغتها تكمن في بيان أن هذا الهول لا يحيط به وصف فهو هول "خارق للعادة، وهذا من بديع الكناية عن شدة ذلك الهول؛ لأن استلزام ذهول المرضع عن رضيعها لشدة الهول يستلزم شدة الهول لغيرها بطريق الأولى، فهو لزوم بدرجة ثانية"[٢].

وللدلالة على شدة الهول والفزع والانزعاج الذي ألمَّ بتلك المرأة الحامل فأسقطها جنينها في الصورة الثانية عبر بقوله:(ذات حمل) ولم يقل (حامل) لـ"بيان شدة فزعها ورهبتها الشديدة من هذا المشهد، وأثر ذلك على جنينها؛ لإشعاره بالصحبة المشعرة بالملازمة، فيشعر الكلام بأن الحامل تضع إذ ذاك الجنين المستقر في بطنها المتمكن فيها هذا مع ما في الجمع بين ما يشعر بالمصاحبة وما يشعر بالمفارقة وهو الوضع من اللطف"[٣].

أما الصورة الكنائية الثالثة والتي دلت هي الأخرى على شدة الهول والفزع والانزعاج، فقد جاءت في قوله: (وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيد) وقد خرجت في ثوب التشبيه البليغ، حيث شبه الناس وقت وقوع تلك الزلزلة من شدة هولها وقوتها وحالهم وقد فقدوا الوعي والإدراك، بحال السكران الذي فقد وعيه بسبب شرب الخمر، ووجه الشبه بينهما هو فقدان الوعي والإدراك وتغيب العقل في كل، وكأن الزلزلة لقوتها، وشدة أثرها زلزلت عقولهم فأفقدتهم الوعي والإدراك الحس والشعور، وفي التأكيد على كون الترنح وفقدان العقل من شدة الهول لا من السكر عبر بالنفي في قوله:(وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ)؛

(١) التحرير والتنوير ١٩٠/١٧.

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ١٠٩/٩.

لإفادة "التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله"(١).

ويوحي التعبير بالاستدراك في قوله:(وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيد) أن فقدان وعيهم وتغيب عقولهم مرجعه الخوف الشديد من عذاب الله، فقد" أذهل عقولهم، وطيَّر تمييزهم، وردهم في حال من يَذهب السكُر بعقله وتمييزه"(٢).

وفي إيثار التشبيه بالسكارى دون غيرهم دلالة على أن الناس لفرط ذهولهم، ونسيانهم لأنفسهم كالسكارى، فهم في غفلة وذهاب رشد، وضياع وعي(٣).

ويلاحظ في تلك الصور التدرج في وصف المشهد، فقد بدأ برسم حركة الزلزلة العنيفة، المؤثرة في النفوس البشرية، حتى إن حركة الناس تضطرب من قوتها وهولها، ويصور هذا الهول المرعب المؤثر في المرضعات والحوامل، وترنح الناس، فالمرضعة ذاهلة عن رضيعها، والحامل واضعة حملها، والناس يبدون كالسكارى، ترنحًا وتمايلًا، وقد عبر عن الذهول، وانقطاع الروابط القوية في ذلك المشهد، باختيار صورة المرضعة الذاهلة عن رضيعها، فبين شدة ذهولها وسيطرة المشهد على جوارحها وأعصابها، فقد أفقدتها الزلزلة حسها وشعورها ووعيها وإدراكها ناحية وليدها، فكأنها لم تعرفه من قبل، وتلك الحامل التي حملت جنينها في أحشائها فقد كانت الزلزلة سببًا في فقدانه، ولم تكتف بذلك بل أذهبت

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري –جار الله –(المتوفى: ٥٣٨ هـ) ١٤٢/٣.–دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

(٢) البحر المديد ٥١٠/٣.

(٣) ينظر زهرة التفاسير –محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ). ٤٩٣٩/٩ – دار النشر: دار الفكر العربي.

عقول الناس، وأفقدتهم الوعي والإدراك فأصبحوا يترنحون كالسكارى، فهذ التدرج في وصف المشهد يرسم أهوال تلك الزلزلة وشدتها وعنفوانها، فهي زلزلة حسية أعقبتها هزة نفسية(١)، وتكاتف تلك الصور وتعانقها أدى إلى بيان تلك الزلزلة، وماهيتها وأثرها حتى تبقى صورتها عالقة في الأذهان واضحة راسخة في الوجدان، ورسم المشهد عن طريق التصوير الذي يؤكده في النفوس، ويمكنه منها فضل تمكن، فيؤثر في المتلقي، ومن ثم يمتثل لأمر الله بالتقوى.

وقد اتكأت الآيتان على بعض الأساليب البلاغية، فقد تصدر الإنشاء، وصورته الأولى النداء في قوله:(يا أيها) وفي نداء الخلائق بـ (يا) الموضوعة لنداء البعيد؛ و(أي)، وهاء التنبيه؛ تنبيهًا لأذهانهم، وإيقاظًا لحسهم، وقد نزل القريب منزلة البعيد؛ للدلالة على فرط سهوهم، وشدة غفلتهم، وتماديهم في الباطل، وبعدهم عن طريق الحق، والتعبير بلفظ(الناس) المعرف بأل التي تفيد الاستغراق في الجنس؛ ليشمل جميع الآدميين؛ لتنبيههم إلى أمر عظيم، وحدث جليل، وخطب جسيم، ثم عقب النداء بأسلوب إنشائي آخر وهو الأمر بالتقوى في قوله: (اتقوا)، والمعنى: "لا سبيل لكم يوم القيامة إلا بتقوى الله بامتثال أوامره، والبعد عن نواهيه، فهو يوم عظيم مليء بالأهوال، والمأمور به "مطلق التقوى، الذي هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي ظاهرًا وباطنًا"(٢).

وفي التعبير بالأمر(اتقوا) إيحاء "بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى، فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمتهم لها"(٣).

(١) ينظر وظيفة الصورة صـ٣٢٥ بتصرف.

(٢) البحر المديد ٥٨٢/٤ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل– ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)٦٤/٤–تح/ محمد عبد الرحمن المرعشلي– دار إحياء التراث =

وقد خرج الأمر عن معناه الحقيقي لمعنى آخر مجازي هو التحذير والتخويف من هول هذا اليوم، وبلاغته تكمن في تربية المهابة في نفوس السامعين، فيرتدعوا عن كل ما يغضب الله، ويقبلوا على تقوى الله و خشيته في جميع أمورهم، ويفهم من طرف خفي أن هذا التحذير مشوب برأفة الخالق بعباده، ولطفه بهم وشفقته عليهم، فكأن المعنى: أنا ربكم من تولاكم بالتربية والرعاية والعناية فاسمعوا وامتثلوا، فإن امتثلتم أصبحتم في لطفي ومعيتي، وهذا فيه ما فيه من تأنيس قلوبهم وطمأنة أفئدتهم.

والتعبير بالمظهر في موضع المضمر (ربكم)؛ لزيادة تقرير المعنى في نفس المتلقي، وتحقيقه وتثبيته وتمكينه في ذهنه، والتأكيد على أن الله وحده من يجب الامتثال لأمره .

وفي إيثار التعبير عن الذات العليا بلفظ الربوبية (ربكم) دون الألوهية(إلاهكم)؛"لتأكيد الأمر، وتأكيد إيجاب الامتثال به؛ لأن الربوبية دائمة ، والعبودية واجبة بدوامها، أي: حذروا عقوبة مالك أموركم ومربيكم"[1].

وفي إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين؛ إظهار لقوة الصلة بين العبد وربه، و"إيماء إلى استحقاقه التقوى لعظمته بالخالقية، وإلى جدارة الناس بأن يتقوه لأنه بصفة تدبير الربوبية لا يأمر ولا ينهى إلا لمرعى مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم وكلا الأمرين لا يفيده غير وصف الرب"[2].

وقد استطاع لفظ(زلزلة) المشتق من الفعل المضاعف الرباعي(زَلزَل) المستعمل بمعناه الحقيقي، التعبير عن الحركة العنيفة التي تسبق قيام الساعة،

=

العربي – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ .

(١) البحر المديد ٥٨٢/٤ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣٦/١٧.

وبيان أثرها في نفوس السامعين، ورسم المشهد أمام أعينهم من خلال تكرار حروفه، فهي لم تكن هزة عادية، وإنما زلزلة عنيفة تُحدِث حركات قوية متتابعة ومتصاعدة من غير توقف، وفي إسناد الزلزلة إلى الساعة حث للمخاطبين على أن ينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم، ويتصورها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به [١]، وقد استطاع لفظ (زلزلة) – أيضًا–تصوير حالة الهول والفزع والرعب التي أصابت الناس عند حدوث تلك الزلزلة، عندما عبر عنها بضمير الشأن في قوله:(ترونها) فابتدأ بتصوير حال المرضعة الذاهلة عن وليدها، وقد فقدت السيطرة على وعيها وإدراكها من هول المشهد وعنف الزلزلة، ثم عقبها بالحامل التي فقدت جنينها؛ رعبًا وهلعًا ووجلًا من شدة الموقف، والتعبير بالمرضع والحامل "يمثل منتهى الذهول وفقد السيطرة على الأعصاب، وهي صورة فريدة للفزع والرهبة[٢]، ثم ذكر الناس جميعًا وشبههم بالسكارى، فهم من شدة الخوف من عذاب الله الذي قد ظهرت آياته ودلائله من خلال تلك الزلزلة أصبحوا سكارى.

***

(١) الكشاف ١٤١/٣.

(٢) ينظر وظيفة الصورة الفنية صـ٤٢٣.

المطلب الثاني: قوله تعالى في سورة الزلزلة [1]:﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ

(١) سبب نزول السورة " نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا شيء وإنما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، الكذبة والغيبة والنظرة ويقول: ليس علي من هذا شيء، إنما أوعد الله بالنار على الكبائر، فأنزل الله –عز وجل– يرغبهم في القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر – فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره – إلى آخره. أسباب النزول– أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) صـ٣٠٤– مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع–دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز مكة المكرمة.–سنة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م.

–علاقة السورة بسابقتها، ختمت سورة «البينة» قبل هذه السورة بما يلقى الكافرون، من عذاب خالدين في النار، وبما يلقى المؤمنون من نعيم خالدين فيه خلوًدا مؤبدًا في الجنة، وجاءت سورة الزلزلة محدثة بهذا اليوم الذي يجزى فيه كل من الكافرين والمؤمنين هذا الجزاء الذي يستحقه كل فريق منهم، فكان عرض هذا اليوم، وإخراج الناس فيه من قبورهم للحساب والجزاء– كان عرض هذا اليوم منظورًا إليه من خلال صورتي النار والجنة اللتين تحدثت عنهما السورة السابقة– كان أبعث للرهبة منه، والخشية من لقائه. التفسير القرآني للقرآن– عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ١٦/ ١٦٤٨– دار الفكر العربي – القاهرة. وقد حدثنا الإمام الرازي عن علاقة سورة الزلزلة بسورة البينة قائلًا:" المناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة وجوهًا أحدها: أنه تعالى لما قال: جزاؤهم عند ربهم [البينة: ٨] فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب فقال: إذا زلزلت الأرض زلزالها فالعالمون كلهم يكونون في الخوف، وأنت في ذلك الوقت تنال جزاؤك وتكون آمنا فيه، وثانيها: أنه تعالى لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد في وعيد الكافر، فقال: أجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره: ما للأرض تزلزل. تفسير الرازي ٣٢/٢٥٣.

أما مناسبتها لما بعدها وهي سورة العاديات أن "الزلزلة التي تزلزلها الأرض يوم البعث، وإخراج الأرض أثقالها وما في جوفها من الموتى، وصدور الناس أشتاتًا من القبور إلى موقف =

زِلۡزَالَهَا﴿١﴾﴾[الزلزلة: ١].

أي: حركت تحريكًا شديدًا فانهار كل ما عليها من جبال وأشجار وأنهار ومخلوقات، وقد استعمل لفظ (زلزل) بصيغة الماضي المبني لما لم يُسمَّ فاعله مؤكدًا بمصدره المفعول المطلق (زُلزِلت–زلزالها).

افتتحت سورة الزلزلة بأسلوب الشرط والجزاء، وجملة الشرط قوله:(زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا) معطوفًا عليها قوله:(وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا) وقوله:(وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا) وجاءت جملة الجواب في قوله:(يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا) وقد وقع

=

الحشر، والمواجهة هناك بين الكافرين والمؤمنين– كل هذا تمثله صورة واقعة في الحياة، نجدها حين تقوم حالة حرب بين الناس، فتزلزل الأرض تحت أقدام الجيوش الزاحفة نحو ساحة القتال، بما يركبون من خيل، وما يحملون من عدة القتال، وهم يصدرون من بيوتهم في سرعة الرياح العاصفة إلى لقاء العدو، لا يمسكهم شيء عن الانطلاق حتى يبلغوا ساحة الحرب، هكذا يوم الحرب.. إنه من يوم القيامة قريب في أهواله، وشدائده، وما يلقى الناس منه، من هول وشدة، ففي ميدان الحرب، حساب وجزاء، وربح وخسران، وهول وفزع، يشمل المحاربين جميعًا، فالحرب وميدانها في الدنيا، هي أقرب شيء يمثّل به المحشر، والحساب، والجزاء في الآخرة، ولهذا جاءت سورة العاديات تالية سورة الزلزلة، لهذه المشابهة التي بينهما". التفسير القرآني للقرآن ١٦٥٣/١٦–٥٤ .

(١) تزلزلت الأرض زلزلة واضطربت الأرض اضطرابة فانكسر ما عليها من الشجر والجبال والبنيان. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)٥١٦– دار الكتب العلمية – لبنان ، وقد ورد في كتاب التفسير البياني للقرآن الكريم أن "الزلزلة، الحركة العنيفة والاضطراب الشديد: استعمل في الحسيات، فقيل" زلزل الإبل ساقها بعنف حتى يضطرب سيرها، وتزلزلت الأرض، اهتزت وارتجفت. التفسير البياني للقرآن الكريم – عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ) صـ٨١–دار المعارف – القاهرة–الطبعة: السابعة.

الشرط بـ(إذا) التي تستخدم مع الشرط المجزوم بحصوله غالبًا، ودخولها على الفعل الماضي المبني لما لم يُسمَّ فاعله (زُلزِلت) للدلالة على التحقق والثبوت، وكأن هذه الزلزلة قد تحققت، وحصلت بالفعل وأن المولى–عز وجل– يخبر بها واقعًا، وفيه دلالة على حتمية وقوع الزلزلة، وأنها أمر لا نزاع فيه ولا فرار منه، وقد حُذِف المسند إليه؛ للعلم به، وناب عنه المفعول، والتقدير (زلزل الله الأرض)، وإيثار (إذا) في الشرط دون غيرها؛ للدلالة على أن وقوع الزلزلة بهذه الصورة المخيفة المفزعة أمر مقطوع بوقوعه، ودخولها على الماضي لإفادة تأكيد المعنى وتحقيقه وتقريره وتمكينه، وهو التأكيد على تحقق وقوع الزلزلة، وأنها أمر محتوم .

وفي التعبير بالماضي المبني لما لم يسم فاعله(زُلزِلت) تخويف للعباد وتحذير مما يحدث للأرض في ذلك اليوم، وتذكير لهم بقدرة الله –عز وجل– مما يبعثهم على الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وكأن هذا الامتثال قد حدث منهم وقت سماع الآية.

وبناء الفعل لما لم يسم فاعله؛ للعلم به، وحتى ينصبَّ الاهتمام على الحَدث ذاته وبيان درجة الزلزلة من حيث القوة والتأثير، و"إيحاء بأن النفوس تزلزل لا إراديًّا ولا يستطيع الإنسان التحكم فيها، وفيه مطاوعة، والمطاوعة: فيها بيانُ للطواعية التي يتم بها الحدَثُ تلقائيًّا أو على وجه التسخير، وكأنه ليس في حاجة إلى إظهار الفاعل"[(١)].

وقد عبر بقوله:(زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا) أي: إذا حركت الأرض تحريكًا عنيفًا، وكلمتا (زلزلت– زلزالها) هما محور الدراسة هنا، وهما كلمتان مصورتان

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق– عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ) صـ ٢٤٣– دار المعارف.

بجرسهما ومعناهما وبنيتهما، فالصفير الذي يحمله صوت الزاي يوحي بشدة الزلزلة، وقوة تحركها، وعنفوانها.

وقد آثر التعبير بالفعل (زُلزِلت) في جملة الشرط دون غيره من الألفاظ التي تدل على اضطراب الأرض وتحركها وشدة اهتزازها كالرج؛ لبيان قوة اهتزاز الأرض وشدة حركتها، وكأن الزاي وما تحمله من صفير يوحي بشدة أزيزها وقوة تأثيرها على ما فوقها وما تحتها ومن عليها من المخلوقات، فلفظ (زَلزَل) كما بين البحث سابقًا يحمل دلالة على شدة الاضطراب والحركة والاهتزاز، وذلك بتكرار صوت الزاي واللام، وبتضعيف (زل) فهو فعل رباعي مضعف يدل بوزنه وأحرفه على شدة الاضطراب وقوته وعنفوانه، ومعنى (زُلزِلت) "حركت تحريكًا شديدًا حتى يخيل للناس أنها خرجت من حيزها؛ لأن فعل زلزل مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين، فلما عنوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل؛ للدلالة بالتضعيف على شدة الفعل كما قالوا: كبكبه، أي كبه ولملم بالمكان من اللم"(١)، ولم يحمل غيره من الأفعال تلك الصفات والمعاني التي دلت على شدة الاضطراب وقوته، فلفظ الرَّج مثلًا استعمل في اهتزاز الأرض واضطرابها وتحركها في سورة الواقعة في قوله تعالى:﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا (٢)﴾[الواقعة:٤] ولكنه يفارق الزلزلة من ناحيتين: أن الرَّج هو أول الزلزلة أو أن الزلزلة تُسْبَق برجة قوية يعقبها زلزال شديد يحدث

(١) التحرير والتنوير ٤٣٢/٣٠.

(٢) الرَّج : تحريك الشيء وإزعاجه، يقال رجّه فارتجَّ، قال تعالى:" إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا" [الواقعة:٤]، والرجرجة الاضطراب، وكتيبة رجراجة، وجارية رجراجة، وارتج كلامه اضطرب، والرجرجة ماء قليل في مقره يضطرب فيتكدر. المفردات في غريب القرآن– – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) ٣٤١/١– تح: صفوان عدنان الداودي– الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت–الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

اضطرابات وهزات قوية عنيفة للأرض ينفض كل ما عليها، فالرَّج جزء من الزلزال الكبير الذي يحدث وقت قيام الساعة، كذلك فإن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، وأن الأفعال الرباعية المضاعفة تدل على زيادة الفعل وشدته وقوته بخلاف غيرها.

وهنا لطيفة أخرى في التعبير بالفعل (زُلزِلت) ومصدره (زِلزَالها) فقد جاء ملائمًا ومناسبًا للمقام والسياق، فهو لفظ معبر ومصور للمشهد العام والصورة، فقد أثر التجانس والتشاكل الصوتي والانسجام بين أصوات الحروف عن طريق تكرار جرسها ورنينها في بيان قوة المشهد وتقريبه وتأكيده وتحقيقه برسم معاني القوة والشدة والعنف والاهتزاز لهذا الزلزال، وتلك الهزة الأرضية، وفي تصوير مدى ارتجاج الأرض وارتجافها وشدة اضطرابها وانزعاجها وعنفوانها، وانتفاض ما بداخلها، وتحركها الشديد، فهي هزة لم تكن معهودة في الدنيا، وقد نجح صوتا الزاي واللام في إبراز الصورة السمعية ورسمها أمام أعين المتلقين، وكأنهم في قلب الحدث يرون الأرض بهذه الحالة الهائجة الثائرة تنفض كل ما عليها من جمادات ومخلوقات وذنوب وأوزار من خلال ما أحدثاه من بيان شدة الأهوال والاضطراب للأرض.

وكذلك استطاع الفعل ومصدره أن يصورا شدة الحالات والانفعالات لدى الخلق وقت قيام الساعة، فقد ارتجفت قلوبهم وارتعدت خوفًا ورعبًا وزعرًا من شدة الأهوال، وكأن التعبير القرآني يرسم صورة الزلزلة الحسية وآثارها في نفوس السامعين[1]، ويشعرهم بأن الدنيا دار فناء وأن الاستقرار عليها له وقت معلوم.

وفي تأكيد الفعل بمصدره دلالة على زيادة تحقيق إرادة مدلول الزلزال

(١) وظيفة الصورة الفنية ٣٣٧/١.

الحقيقي، فهو زلزال لم يسبق له مثيل فهو "الشديد الذي ليس بعده"[١]، فهو عجيب غريب لا يمكن تأمله أو استيعابه، لذا اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقي.

وفي إضافة الزلزال إلى الأرض في قوله:(زلزالها) دلالة على شدة التهويل والتفخيم والتعظيم لهذا الزلزال الذي أصاب الأرض فـ"الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها، وذلك عند قيام الساعة تتزلزل وتتحرك تحريكًا متتابعًا، وتضطرب بمن عليها، ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناءٍ وقلاعٍ"[٢].

ولعل إيثاره طريق الشرط والجزاء دون غيره إنما ورد لتقرير المعنى المراد؛ لخروجه مخرج الإثارة والتشويق الذي نتج من بسط جملة الشرط(إذا زلزلت) و(وأخرجت) و(وقال) والتي تعددت فيها الجمل المعطوفة عليها، فإذا سمع المتلقي الشرط ظل مترقبًا متلهفًا متشوقًا للوقوف على جملة الجواب فإذا ما وقف عليها هدأ شوقه واطمأن فؤاده، فالعلاقة بين الشرط والجواب علاقة النتيجة بالسبب، فالشرط يقدم بين يدي المتلقي الأفعال(زُلزِلت، وأُخرِجت، وقال) وما يترتب عليها من بعث وجزاء وحساب وعقاب، فهو من الأساليب الخبرية التي تحقق الهدف المنشود من أيسر طريق وأسرع سبيل.

والتعبير بأسلوب الشرط والجزاء جاء مناسبًا للمقام والسياق؛ إذ الخطاب للناس عامة ومنهم منكرو البعث والحساب، فكأن أسلوب الشرط والجزاء يحمل بين طياته لهؤلاء المنكرين تهديدًا ووعيدًا لهم إن استمروا على كفرهم وإنكارهم، وكأنهم تساءلوا متى تقوم الساعة؟، على سبيل الإنكار، فجاءهم الجواب

---

(١) الكشاف ٤/٧٨٣.

(٢) صفوة التفاسير– محمد علي الصابوني٣/٥٦٣– دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة–الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م/٥٦٣.

بقولـه:(إذا زلزلـت ...) أمـا غيـرهم مـن المـؤمنين فكـان الشـرط والجـزاء بمنزلـة التحذير والتخويف والترهيب والإنذار لهم بالبعد عن كل ما يغضب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، يقول الماوردي:" وهذا الخطاب لمن لا يؤمن بالبعث وعيد وتهديد، ولمن يؤمن به إنذار وتحذير"(١).

وهذه الصورة الحسية المرتجفة والمضطربة تشعر المتلقي أن الاستقرار على هذه الأرض له وقت معلوم، فهي تصور الأرض ترتجف وتمتد وتزلزل وتخرج ما في باطنها، مما يوحي بالرهبة والخوف الشديد من الدنيا.

والأسلوب الشرطي "يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطًا ملاحَظًا فيه ترتب المسبب على السبب، فإذا ذكِرت أداة الشرط، وأردفت فعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما سيكون، فإذا ذكِر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التشويق تمكن أيما تمكن"(٢)، والذي يزيد من هذه القيمة البيانية لأسلوب الشرط أن جملة الشرط (زُلزِلت الأرض) وما عطف عليها قوله:(وأخرجت...) وقوله:(وقال...) تحمل نوعًا من البسط، وهذا من شأنه أن يعمل على إثارة الشوق، وإيقاظ التنبيه، حيث تظل النفس بسبب طول جملة الشرط متطلعة إلى الوقوف على الجواب، وهذا يعمل على تأكيد الخبر وتوكيده، وتقريره في نفوس السامعين.

وقد وقع الوصل بين جملة الشرط في قوله: (زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) وقوله:(وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) وقوله:(وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَهَا) للتوسط بين الكمالين مع وجود الجامع بينها وهو التناسب التام في المعنى، والترابط والتكامل،

(١) النكت والعيون- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)٣١٨/٦-تح/ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية- د/عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)١/ ٢٠٨ - مكتبة وهبة- الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

والتناسق والتماسك بينها، فكلها تتحدث عن الأحوال أولًا: أحوال الأرض في ذلك اليوم من زلزال واضطراب وتحرك وانزعاج، ثانيًا: أحوال الإنسان من الهول والفزع والخوف والرهبة من تلك الأحداث.

وقوله:(وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا) والمعنى" ما في جوفها من الدفائن أو الأموات"[١] مجاز عقلي، حيث أسند الإخراج للأرض وهي مكانه لعلاقة المكانية فـ"جعل الأرض هنا فاعلة، وهي جماد، مضيًّا في تقرير مطاوعتها، وكونها مسخرة لمثل هذا "[٢].

والتعبير بالأثقال يوحي بالتخلص من "الثقل الباهظ، فالمثقل يتلهّف إلى التخفّف من حمله، ويندفع فيلقيه حين يتاح له ذلك، والأرض إذ تخرج أثقالها تفعل ذلك كالمدفوعة برغبة التخفّف من هذا الذي يثقلها عندما حان الأوان"[٣].

وقوله:(وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا) استفهام خرج عن معناه الحقيقي لغرض التعجب [٤]والدهشة والاستغراب والحيرة من أمر تلك الهزة المباغتة والتي فصلت بين الدنيا ودار الحق والبعث والجزاء، ما لهذه الأرض؟ وماذا حلَّ بها؟ وهو

(١) تفسير البيضاوي ٥١٨/٥ .

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم صـ٨٤.

(٣) جماليات المفردة القرآنية–أحمد ياسوف– ١٦٠صـ– دار المكتبى – دمشق– الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

(٤) الاستفهام التعجبي: يكون صادرًا من متعجب فعلًا، ويسمى استفهامًا تعجيبيًّا، حين يكون الغرض من إيراده إثارة العجب عند من يخاطب به أو يتلقاه، ومنه ما يكون صادرًا عن الله –عز وجل–؛ إذ ليس من صفاته –سبحانه– أن يتعجب تعجب استغراب واستبعاد؛ نظرًا إلى سابق علمه –تعالى– بكل ما يحدث من عباده قبل حدوثه، وعلمه بخلقهم، وصفاتهم، وخصائصهم النفسية والسلوكية. البلاغة العربية– عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) ٢٧٨/١.–الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

سؤال المضطرب المتحير المنزعج الذي فقد الإحساس بالأمان والاستقرار، والاستفهام قد وقع بـ(ما) وهي اسم استفهام، واللام تفيد الاختصاص، والاستفهام التعجبي يأتي فيما عظم شأنه، وخفي سببه، فالاستفهام الذي يتضمن معنى التعجب " القصد فيه يرجع إلى بيان الاستغراب، ويجري عادة بعد حصول الظاهرة موطن العجب"(١).

وقد جاءت جملة الشرط في قوله:(تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) أي "تنشر أخبارها، وتظهر أسرارها، وتخرج خبأها"(٢)، وهو" تحديث وكلام حقيقة بأن يخلق فيها حياةً وإدراكًا ، فتشهد بما عمل عليها من صالح أو فاسد"(٣).

***

(١) دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة – د/ الأزهر الزناد صـ١١٤– –ط/١ الدار البيضاء – المركز الثقافي العربي.

(٢) التفسير القرآني للقرآن١٦/١٦٥١.

(٣) البحر المحيط في التفسير–أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ٥٢٢/١٠ – تح– صدقي محمد جميل– الناشر: دار الفكر – بيروت– لبنان– الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

" المبحث الثاني"

المضاعف الرباعي(زَلزَل) وما اشتق منه، واستعمالاته المجازية.

المطلب الأول: في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤][(١)].

في هذه الآية حث للمؤمنين على الصبر عند نزول الشدائد والابتلاءات، وتذكير لهم بما نزل بالأمم السابقة، وبعثهم على الاقتداء بهم في الجلد والصبر والتحمل والثبات.

في هذا الموضع وردت مادة (زَلزَل) فعلًا ماضيًا مبنيًّا لما لم يُسمَّ فاعله، وقد تحدثت هذه الآية عن الزلزلة التي أصابت قلوب المؤمنين في إحدى الغزوات في قوله تعالى: (وَزُلْزِلُواْ)، وقد ورد في لسان العرب "الزلزلة والزلزال: تحريك الشيء، وقد زلزله زلزلة وزلزالًا، قال ابن الأنباري في قولهم: أصابت القوم زلزلة، قال: الزلزلة التخويف والتحذير من قوله تعالى:(وزلزلواَحتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ) أي خوفوا وحذروا"[(٢)].

---

(١) سبب نزول هذه الآية، قال قتادة: نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدّة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى، وقال عطاء: لما دخل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المدينة اشتدّ عليهم الأمر؛ لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأسرّ قوم النفاق، فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ تطميناً لقلوبهم. وقيل: نزلت في حرب أحد. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير– شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) صـ١٣٩–مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ١٢٨٥هـ.

(٢) الزلازل: الشدائد. والزلازل: الأهوال؛ قال عمران بن حطان:

(فقد أَظَلَتْكَ أيامٌ لها حَمَسٌ ... فيها الزلازلُ والأهوالُ والوَهَلُ)

=

وقد بني الفعل الماضي (زُلزِلوا) لما لم يسمَّ فاعله، وفي التعبير به دلالة على تركيز الاهتمام على الحَدث ذاته، وبيان درجة تلك الزلزلة، وهذه الهزة العنيفة التي أصابت قلوب المؤمنين بالفزع والخوف والهلع و"إيحاء بأن النفوس تزلزل لا إراديًّا ولا يستطيع الإنسان التحكم في ذاته[١].

وقد خرج الفعل زلزل في ثوب المجاز بالاستعارة التصريحية التبعية، حيث استعار الزلزلة التي هي" في الأصل: الحركة العظيمة والإزعاج الشديد"[٢] لحال المؤمنين وقت أن نزل الخوف والرعب والهلع والفزع في قلوبهم، بجامع شدة الاضطراب وقوة الانزعاج في كل.

ويلمح من طرف خفي أن التعبير المجازي بلفظ (زُلزِلوا[٣]) فيه إيماء بأنه "إذا كان زلزال الأرض يهزُّها حتى يلقي ما عليها من قصور مشيدة، فزلزال

=

وقال بعضهم: الزلزلة مأخوذة من الزلل في الرأي، فإذا قيل زلزل القوم فمعناه صرفوا عن الاستقامة وأوقع في قلوبهم الخوف والحذر، وأزل الرجل في رأيه حتى زل، وأزيل في موضعه حتى زال، وفي الحديث: اللهم اهزم الأحزاب وزلزلهم، وهو هاهنا كناية عن التخويف والتحذير، أي اجعل أمرهم مضطربًا متقلقلًا غير ثابت. لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ٣٠٨/١١ [زلل]- دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(١) ينظر الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق صـ ٢٤٣.

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها[زلل].

(٣) يعني أصابتهم الفاجعة الكبرى الملهية المتكررة، وهي لا تتكرر على نمطٍ واحدٍ، إنما يتعدد تكرارها، فمرة يأخذها الإيمان، ثم تأخذها المصائب والأحداث، وتتكرر المسألة حتى يقول الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– والذين آمنوا معه: {متى نَصْرُ الله} ؟ . تفسير الشعراوي– محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ٩١٥/٢– مطابع أخبار اليوم– نشر عام ١٩٩٧م).

المؤمنين لَا يقلب نفوسهم، ولا ينكسر ما في صدورهم؛ بل يصقلها وينفض عنها ما عساه يعلق بها من درن"[١].

وفي التعبير باللفظ (زلزلوا) إيحاء بشدة الاضطراب وقوته التي فاقت الحد، فالفعل زلزل من الأفعال الرباعية والتي تحمل بسبب تكرار أصواتها (زل– زل) نوعًا من التأثير في نفس السامع وكأنها تؤكد تكرار الفزع والوجل، والهلع والاضطراب الذي أصاب قلوب المؤمنين من شدة الخوف، وكأنه خوف بعد خوف، وهلع فوق هلع، فهي" تحمل خاصية تعبير الصوت عن واقعية الحركة، فكلمة «زلزلوا» لها مقطعان هما «زل، زل» و «زل» : أي سقط عن مكانه، أو وقع من مكانه، والثانية لها المعنى نفسه –أيضًا– أي وقع من مكانه، فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرر: وقوع أول، ووقوع ثانٍ، والوقوع الثاني ليس امتدادًا للوقوع الأول؛ ولكنه في اتجاه معاكس، فلو كانت في اتجاه واحد لجاءت رتيبة، إن الزلة الثانية تأتي عكس الزلة الأولى في الاتجاه، فكأنها سقوط جهة اليمين مرة، وجهة الشمال مرة أخرى هكذا «الزلزلة» تحمل داخلها تغير الاتجاه الذي يُسمى في الحركة بالقصور الذاتي"[٢].

والزلزلة بجرسها الرنان المؤثر "ترسم زلزلة الأجسام، وما تعرضت له من قتل وتعذيب، وزلزلة النفوس المصاحبة لزلزلة الأجسام، وشعورها باليأس وإبطاء نصر الله "[٣].

وقد أضفت أصوات حروف كلمة (زلزل) بالإضافة إلى معنى الفعل الأصلي والذي لا علاقة له بسياق الآية، والمعنى المجازي وهو– المقصود هنا– على هذا المشهد نوعًا من رسم الصورة وإيضاحها وكأنها ترى بالعين، فقد بينت

(١) زهرة التفاسير ٢/٢١٤.

(٢) تفسير الشعراوي ٢/٩١٥.

(٣) وظيفة الصورة الفنية صـ١٦٤.

سابقًا أن الزاي واللام كلاهما حرف مجهور، فاشتراكهما في تلك الصفة أدى إلى وجود تناسقٍ وتناغمٍ، وإيقاعٍ صوتيٍ عمل على إبراز المشهد وبيان الحالة التي نزلت بالمؤمنين، وقد امتازت الزاي بإبراز الحدث؛ لقوة جرسها، وشدة صفيرها، فقد حملت لكونها حرفًا صفيريًّا نوعًا من امتداد الصوت واستطالته وشدة أزيزه، والذي بدوره أدى إلى تنبيه المتلقي وإيقاظه؛ لاستيعاب المشهد وتخيله ورسمه أمام عينيه ومن ثم تأثره به.

والجهر يضفي على الحروف جرسًا قويًّا وأثرًا سمعيًّا ينتج عن الذبذبات الفرعية المتوائمة مع الذبذبات الأصلية الناتجة من الأوتار الصوتية؛ لانقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء واقتراب الوترين اقترابًا يسمح للهواء بهز الوترين، وهذا الجرس يحدث مزيدًا من التناسب والتناغم والانسجام الصوتي بين الحروف(١).

وقد عبر القرآن الكريم بلفظ (زُلزِلوا) دون(ارتجفوا) لأن الزلزلة التي ألمَّت بالمؤمنين وأصابت قلوبهم بالخوف والوجل على الرغم من شدتها وقوة أثرها إلا أن "ذلك قليل في جنب ما قاسى غيرهم ممن سبقوهم بالإيمان والهدى؛ إذ كان استعداد البشر أضعف، وقسوتهم أشد، وعنادهم أقوى" (٢)، أما الرجفة فهي "الزلزلة العظيمة، ولهذا يقال زلزلت الأرض زلزلة خفيفة، ولا يقال رجفت إلا إذا

(١) ينظر العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة- محمود توفيق محمد سعد -أستاذ البلاغة والنقد ورئيس قسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم صـ١٦٧- الناشر جامعة الأزهر الشريف- سنة النشر الطبعة الاولى ٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ.

(٢) تفسير المنار- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ٢٣٧/٢- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة النشر: ١٩٩٠م.

زلزلت زلزلة شديدة، وسميت زلزلة الساعة رجفة لذلك، ومنه الإرجاف وهو الإخبار باضطراب أمر الرجل ورجف الشيء إذا اضطرب يقال: رجفت منه إذا تقلقلت"(١) .

ومن ناحية أخرى فإن الفعل (زُلزِلوا) جاء مناسبًا للسياق والمقام، فقد تحدثت الآية عن المؤمنين الصابرين الذين تحملوا كافة الابتلاءات وتلقوها بالصبر والجلد والاحتساب، أما الفعل (ارتجفوا) فيأتي للدلالة على نزول العذاب بمن جزع ولم يصبر على البلاء ووقع في الكفر، وفي الدلالة على أن الرجفة يتبعها الهلاك والعذاب الشديد قال الليث: "الرجفة في القرآن: كل عذاب أخذ قومًا فهو رجفة وصيحة، وصاعقة"(٢)، وقيل: إن الرجفة "الزلزلة معها الخسف"(٣)، بخلاف الزلزلة فقد أراد الحق –جل شأنه– في التعبير بـ(زُلزِلوا) بيان ما نزل بالسابقين؛ لتثبيت قلوب المؤمنين المتألمين من العذاب الواقع بهم، وبث الطمأنينة في قلوبهم، وبيان أن المؤمنين السابقين قد خرجوا من ذلك ناجين ومكافئين بأجر عظيم وهو الجنة، فالتعبير بـ(زلزلوا) يتبعه بشرى ووعد وجزاء وهو الفوز بالجنة، بخلاف التعبير بـ (ارتجفوا) فإنه يتبعه وعيد وعذاب وهلاك.

والتعبير بـ(زُلزِلوا) أبلغ وأقوى من كل لفظ يُعبر به عن غلظ ما أصابهم (٤)، وعظم ما نزل بهم، فتكرير الحروف مصاقبًا لتكرير الحركة، فالزلزلة

(١) الفروق اللغوية صـ٣٠١.

(٢) تهذيب اللغة– محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ٣١/١١ –تحقيق/محمد عوض مرعب– دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٣) تهذيب اللغة٣١/١١.

(٤) النكت في إعجاز القرآن– علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ) صـ٤٠١––تح/ محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام– دار =

تشتمل على اضطرابات نفسية متتابعة لا تنقطع؛ إذ الزلزال حدث كوني عظيم هائل، وهو مسخّر في الدنيا والآخرة، ولا يمكن السيطرة عليه، فالتعبير به يشعر المخاطب بأن هذه الزلزلة كانت زلزالًا نفسيًّا هائلًا [1]، ولهذا كان التعبير به دون غيره مناسبًا للمقام والسياق وملائمًا لمقتضى الحال.

وقد قام التعبير القرآني على أساليب بلاغية أبرزت المعنى في صورة مؤثرة وقوية، حيث وقع الفصل بين الجمل في قوله: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ) لشبه كمال الاتصال بين قوله: (وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْۖ) وبين قوله:(مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ) حيث تضمنت الجملة الأولى سؤلاً ضمنيًّا فحواه: كيف كان حالهم؟ وماذا حدث معهم؟ فجاءت الجملة الثانية جوابًا عنه، وهذا من باب الفصل لشبه كمال الاتصال، ويتجلى ذلك في أن قوله:(وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْۖ) فيه خفاء وإبهام، فلما جاءت الجملة بعده (مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وزلزلوا) تبين الخفي واتضح المبهم.

وتكمن بلاغة التعبير به في: تنبيه السامع وتنشيط ذهنه وإيقاظ حسه؛ للوقوف على أخبار السابقين، ومعرفة ما أصابهم من شدائد ونوائب وابتلاءات، وإشعاره بأن الله كما تولى السابقين وتعهدهم بالعناية والرعاية ورفع البلاء، سيتولى أمرهم، وهذا فيه ما فيه من تثبيت أفئدة المقاتلين التي اضطربت وارتعدت، وحث لهم على الصبر والثبات؛ اقتداءً بمن سبقوهم في الصبر والتحمل والثبات.

وقد جاء التعبير بالمجاز مناسبًا لسياق الآية؛ للدلالة على المبالغة في

=

المعارف بمصر –الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م

(١) جماليات المفردة القرآنية صـ١٥١ بتصرف.

شدة البأس والضر، وبيان أثر الزلزلة التي ألمَّت بهم، وذلك حين عبر بالمجاز عن طريق الاستعارة في قوله:(مستهم) حيث استعار المس وهو حسي، فهو "حقيقة في المس باليد"(١)، لما أصاب المؤمنين من الشدائد العظيمة، كالبأساء والضراء والهلع والخوف بجامع اللحوق والإصابة والتأثير في كل على سبيل التصوير بالاستعارة التصريحية التبعية في الفعل(مسَّ)، واستعمال المس هنا مناسب للسياق والمقام؛ لأن الأذى الذي نزل بهم أكثر من أن يُحصى، وقد كثر إطلاق هذا اللفظ في مواطن إصابة الأذى والشر(٢).

ويلمح من خلال التعبير بالمس دون الإصابة، مدى لطف الله بعباده، ورأفته بحالهم وعلمه بضعفهم وخورهم وشدة خوفهم، فكل ما نزل بهم من فظائع وشدائد وأهوال على الرغم من كثرتها وتنوعها إلا أنها كانت كالمس، والمس "أضعف إحساس الإصابة"(٣)، فهي أهوال وشدائد عظيمة وكثيرة ومتنوعة ولكنها يسيرة إذا ما قورنت بالعذاب الذي ينزله الخالق على المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد في سبيل الله، وأن الصبر على هذه الشدائد والثبات عند نزولها ينجي من عذابات الآخرة التي كتبها الله على الخوالف والتي لا حد لها، ولا قدرة للإنسان على تحملها .

وقد خرجت تلك الصورة الاستعارية متلحفة بمراعاة النظير، في قوله:

---

(١) البحر المحيط ٣٧٣/٢.

(٢) المس حقيقته: اتصال الجسم بجسم آخر وهو مجاز في إصابة الشيء وحلوله، فمنه مس الشيطان أي: حلول ضر الجنة بالعقل، ومس سقر: ما يصيب من نارها، ومسه الفقر والضر: إذا حل به، وأكثر ما يطلق في إصابة الشر قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنعَمنَا عَلَى ٱلإِنسَٰنِ أَعرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيض ﴾[فُصِّلَت:٥١] وقوله أيضا: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَٰنَ ضُرّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيهِ ﴾[الزُّمَر:٨]. التحرير والتنوير ٣١٦/٢.

(٣) التحرير والتنوير ١١/٢٥.

﴿ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾ فجميعها ابتلاءات نزلت بالمؤمنين سواء أكانت مادية أو معنوية، وقد تحملوها وصبروا فكوفئوا بالجنة، فـ" البأساء الجوع، والضراء النقص في الأموال والأنفس"[(١)]، والزلزلة المقصود بها الخوف والفزع والاضطراب الذي أصاب قلوب المؤمنين، وقد أراد الحق-سبحانه- من خلال مراعاة النظير التأثير في المخاطبين، وحثهم على الصبر والثبات، وبيان أن الجنة محفوفة بالمكارة وأن الطريق إليها لم يكن خاليًا من الصعاب والابتلاءات.

وقد اتكأت الآية القرآنية على استفهامين مجازيين، الأول في قوله:(أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ) وهو استفهام إنكاري يفيد إنكار هذا النهي، والمعنى أي: "لا تحسبوا أنكم تدخلون الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم"[(٢)]، وفي التعبير بالاستفهام هنا إيحاء بأن هناك ثمنًا للجنة لا بد أن يدفع وهو الصبر على الابتلاءات والمحن؛ لتمحيص المؤمنين، وتنقية صفوفهم، ومعرفة مدى صبرهم على هذه الدعوة[(٣)] .

أما الاستفهام الثاني فقد جاء في قوله: (مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ) وقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي لغرض الاستبطاء، والتعبير به يوحي بأنه على الرغم من تسلل الخوف إلى قلوب المؤمنين وتمكن الهلع والرعب من نفوسهم فإن كل ذلك لم ينل من عزيمتهم، ولم يفقدهم ثقتهم بأن نصر الله آت لا محالة، وأن المنح تأتي من قلب المحن، وأن ما أصابهم كان تمحيصًا لهم وسببًا في انتظارهم النصر الذي بشرهم به الله تعالى في قوله: (أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ) وبهذا تستقر

(١) المحكم والمحيط الأعظم- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ٥٦٢/٨[يأس]- تح/عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) زهرة التفاسير ٦٧٣/٢.

(٣) ينظر وظيفة الصورة الفنية صـ١٦٣.

نفوسهم، وتطمأن أفئدتهم، ويستبشروا بقدوم النصر، فليس" المراد أن الهلع قد استولي عليهم، أو أن اليأس تملك من قلوبهم؛ فإن المؤمن لا ييأس من روح الله؛ إنما معناه أنهم تنزل بهم الشديدة فيحتملونها ويألفونها، ثم تنزل الأخرى التي تكون أشد قسوة فيروِّضون نفوسهم على احتمالها مستعذبين العذاب في سبيل الحق؛ وهكذا تترادف عليهم الشدائد، وتتوالى عليهم المحن حتى تصل إلى أقصى ما تحتمله النفوس الآدمية، وتبلغ حد الطاقة البشرية؛ عندئذٍ يطلب الرسول والذين آمنوا معه النصر[١].

ومجيء جملة الجواب اسمية (أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) مؤكدة بأداة الاستفتاح (ألا) وحرف التوكيد (إنّ)، وإضافة النصر إلى الله تأكيد على أن النصر قادم لا محالة، وهي تحمل البشرى والوعد للمؤمنين بأن "النفوس قد انتهى اختبارها، وبدا جوهرها، وأن النصر لا محالة آت وهو قريب"[٢].

وبهذا استطاع الفعل (زلزل) من خلال تكرار أصواته إيصال المعنى المراد، وبيان أثر تلك الزلزلة العنيفة التي جعلت المؤمنين يبلغون الغاية القصوى في الشدة والهلع والخوف.

***

(١) ينظر زهرة التفاسير ٢/٢١٤

(٢) زهرة التفاسير صـ ٢١٤.

المطلب الثاني: في سورة الأحزاب[1] قوله تعالى:(هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(١) نزلت الآية في غزوة الأحزاب والتي كان سببها" أن نفرًا من اليهود، منهم ابن أَبي الحقيق، وحُيي بن أخطب، في نفر من بني النضير، لَمَّا أجلاهم النبي –صلى الله عليه وسلم – من بلدهم، قَدِموا مكة فحرّضوا قريشاً على حرب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ثم خرجوا إلى غطفان، وأشجع، وقبائلَ مِنَ العرب، يُحرضونهم على ذلك، على أن يعطوهم نصف تمر خيبر كل سنة، فخرجت قريش، وخرجت غطفان، والحارث بن عوف في مُرة، وغيرهم، فلما سمع النبي –صلى الله عليه وسلم– بهم، ضرب الخندق على المدينة، برأي سلمان، قال : يا رسول الله: إنا كنّا بفارس إذا حُوصرنا: خَنْدَقْناَ علينا، فحفر الخندق، وباشر الحفر معهم بيده –صلى الله عليه وسلم– فنزلت قريش بمجتمع الأسيال من الجُرُفِ والغابة، في عشرة آلاف من أحابيشهم. ونزلت غطفان وأهل نجد بذنب نَقَمَي، إلى جانب أُحد، فخرج النبي –صلى الله عليه وسلم –والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام، واشتد الخوف، فأقام النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأقام المشركون، بِضعًا وعشرين ليلة، ولم يكن حرب غير الرمي بالنبل والحصى، فلما اشتد البلاء بعث النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى عُيينة بن حصن، والحارث بن عوف، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمَن معهما، وكتبوا الكتاب ولم يقع الإشهاد، فاستشار النبي –صلى الله عليه وسلم– سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فقال سعد بن معاذ: أشيء أمرك الله به، لا بدّ لنا من العمل به؟ أم شيء تحبه فنصنعه؟ أم شيء تصنعه لنا؟ قال: لا بل شيء أصنعه لكم، أردتُ أن أكْسِر عنكم شوكتهم، فقال سعد: يا رسول الله لقد كنا مع القوم على شرك وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزَّنا بك، نعطيهم أموالنا! لا نعطيهم إلا السيف. فقال– عليه الصلاة والسلام–: «فأنت وذاك» ، فمحا سعدُ ما في الكتاب، وقال: ليجهدوا علينا، ثم إن الله –تعالى– بَعَثَ عليهم ريحًا باردة، في ليلة شاتية، فأحصرتهم، وأحثت الترابَ في وجوههم، وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب، وأكفأت القدور، وأطفأت النيران، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله– تعالى– عليهم الرُعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، حتى كان سيد كل خباء يقول: =

وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا) [الأحزاب:١١] .

وقد وردت مادة (زَلزَل) في هذا الموضع فعلًا ماضيًا مبنيًّا لما لم يُسمَّ فاعله(زُلۡزِلُواْ) موكدًا بمصدره وهو المفعول المطلق(زِلۡزَالٗا).

يحدثنا الخالق –جل شأنه– في هذه الآية عن حال المؤمنين "حين نزلت الأحزاب حول المدينة، وهم محاصرون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم– بين أظهرهم، أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالًا شديدًا"[(١)] من شدة الفزع وكثرة الأعداء.

وقد عبر بالفعل المضاعف (زُلزِلوا) المبني لما لم يُسمَ فاعله، ومفعوله المطلق (زِلزَالًا) عن الفزع والخوف والاضطراب الذي أصاب قلوب المؤمنين، فقد خرج الفعل ومصدره عن معناهما الحقيقي لمعنى مجازي بطريق الاستعارة التصريحية، إحداهما تبعية في الفعل (زُلزِلوا) والأخرى أصلية في المصدر (زلزالًا) بجامع الإصابة والتأثير في كل.

وتكمن بلاغتهما في كونهما جسدا المشهد أمام عيني القارئ، وهو مشهد مهيب يؤثر في النفس ويعلق في الوجدان، ويهجس بخاطر المتلقي، ويجعله يتساءل، كيف كان أثر تلك الزلزلة في نفوس الصحابة والمجاهدين؟ كيف استطاعوا مواجهتها؟، وكيف تخطوها بعد ذلك؟ وغير ذلك من التساؤلات التي خطرت في أذهانهم، فخروج الحالة التي ألمَّت بالمجاهدين في ثوب المجاز

=

يَا بَني فلان، هلمّوا، فإذا اجتمعوا إليه قال: النَّجا، أوتيتم، فانهزموا من غير قتال. ينظر الكشاف للزمخشري ٤٥١/٣، وينظر البحر المديد ١٦/٦.

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي(المتوفى: ٧٧٤هـ) ٣٤٨/٦– تح/ محمد حسين شمس الدين– دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون– بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

بالاستعارة جعلها أكثر تأثيرًا في الوجدان، وعلوقًا في الأذهان.

ويلمح هنا من خلال التعبير بمادة (زلزل) أن هذا الاضطراب كان في الدين والنفس حتى يتميز المؤمن الخالص من المنافق.

وقد كان لتكرار الزاي واللام أربع مرات(وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا) أثرٌ قويٌ، ووقعٌ شديدٌ في نفوس السامعين، ففيه دلالة على تكرار الخوف والاضطراب والرعب في قلوب المؤمنين من هذه الأحداث مرة بعد مرة، وفيه تنبيه على "تكرر معنى الزلل، وأنهم حركوا تحريكًا شديدًا وأزعجوا إزعاجًا قويًّا، وذلك أن الخائف يكون قلقًا مضطربًا لا يستقر على مكان"[1].

فكلا الحرفين جهوري يحمل نوعًا من القوة والتأثير والتنبيه للعقول والأذهان، وانفراد الزاي بالصفير له أثر قوي؛ لما يتميز به من امتداد الصوت واستطالته، وقد كان لمجيء المفعول المطلق دلالة على شدة الاستطالة وتكرار الامتداد كل هذا كان له وقع شديد وأثر قوي في رسم المشهد أمام أعين السامعين، وتحريك نفوسهم، وشد انتباههم لاستيعاب تلك الأحداث الشديدة التي ألمت بالمؤمنين في تلك الغزوة.

واستعمال (هنالك) التي في أصل موضعها اسم إشارة للمكان؛ للدلالة على الزمان استعارة تصريحية أصلية، وقد أراد من خلالها بيان حال المؤمنين في هذا الوقت من الزمان وقت اشتداد الغزوة وملاقاة العدو.

وجاء التعبير بالابتلاء دون الاختبار؛ لكثرة استعماله[2] في المكاره ،

---

(١)روح البيان–إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)١٤٩/٧– الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٢) جاء في الكليات " وقال بعضهم، الابتلاء يكون في الخير والشر معًا– الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية– أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) صـ٣٤– تح /عدنان درويش – محمد المصري –مؤسسة =

فـالابتلاء "يكـون بتحميـل المكـاره والمشـاق، والاختبـار يكـون بـذلك وبفعـل المحبوب "[١].

وقد آثر التعبير القرآني صيغة (ابتلي) دون (بُلِي) للدلالة على المبالغة في الابـتلاء والاختبـار؛ لأن صـيغة افتعـل فيهـا مبالغـة مثـل كسـب واكتسـب[٢]، فـالتعبير بهـا يوضـح شـدة الابـتلاء الواقـع علـى المـؤمنين فـي تلـك الغـزوة، وقـوة فاعليتـه، فزيـادة المبـاني تـدل علـى زيـادة المعـاني، فـالتعبير بالصـيغة المخففـة لا يناسب المقام والسياق؛ إذ المقام مقام اشتداد الخوف، وزيادة الفزع والانزعاج، وقوة الحصار، وكذلك فيها إشعار بطول مدة الابتلاء وكثرته وتواصله فناسب ذلك الصيغة الزائدة (افتعل).

وقد جاء التعبير القرآني بالفعل (ابتلي) بلا مصدر بخلاف الفعل(زلزل) والـذي جـاء مؤكـدًا بالمصـدر؛ لمـا تحملـه صـيغة افتعـل مـن الدلالـة علـى شـدة الابتلاء، وقوة أثره، وشدته، وقوة تمكنه من نفوس المؤمنين.

وقد آثر التعبير بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله (ابتلي– زلزلوا)؛ لأن المقصود الاعتبـار بحصـول الفعـل لا بتعيـين فاعلـه، وفـي التعبيـر بالماضـي دلالـة علـى التأكيـد والتقريـر وتحقـق وقـوع الابـتلاءات والـزلازل النفسـية وتمكنهـا مـن نفـوس المؤمنين فضل تمكن، وثبوتها في أعماقهم، وبيان قدرتهم على تحملها والصبر عليها، وأن المؤمن القوي من يتحمل ذلك ويتلقاه بصبر وجلد وثبات، وهذا يبعث

=

الرسالة – بيروت.

(١) الفروق اللغوية ٢١٦/١.

(٢) ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل– فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي– صـ٣٠١– دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن– الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

على الصبر والثبات عند نزول الابتلاءات والنوائب، "فالتعبير به لا يدعك تفكر في إمكان وقوع الأحداث كما يكون الحال لو جاء بصيغة المضارع، وإنما يدعك تفكر في الأحداث، والمواقف نفسها لتتأمل ما فيها من رهبة، أو رغبة، فمسألة الوقوع وعدمه ألغاها الفعل الماضي حين صيرها واقعًا يروى، ونقلها من الممكن الذي سيكون"(١).

وقد عبر بالمصدر (زِلزَالًا) وهو مفعول مطلق، وقد أفاد التقييد به التأكيد على قوة الاضطرابات النفسية التي أصابت قلوب المؤمنين، والدلالة على شدة الخوف والرعب الذي تمكن من نفوسهم .

وفي تنكيره دلالة على التهويل والتفخيم والتعظيم، أي: زلزالًا عظيمًا كبيرًا يمحص المؤمنين من المنافقين، ويبين قويهم من ضعيفهم، وهذا مناسب لمقام تصوير الرهبة والخوف والهلع الذي حل بهم.

وفي اتصاف الزلزال بالشديد في قوله: (زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا) دلالة على شدة الفزع الذي أصاب قلوب المؤمنين، فقد "حركوا ودفعوا وأقلقوا وأزعجوا بما يرون من الأهوال بتظافر الأعداء مع الكثرة، وتطاير الأراجيف فثبتوا بتثبيت الله لهم على عدوهم"(٢).

وقد اتكأت الآية الكريمة على بعض الأساليب البلاغية التي ساعدت على تصوير المشهد وكأنه يرى بالعين، حين عبر بالابتلاء عن الإصابة في النفس والمال والأهل وغير ذلك من الابتلاءات، فقد كان ذلك إيجازًا بالقصر، وهذا مناسب للسياق والمقام، فالمقام هنا استدعى الإيجاز وعدم سرد المصائب والبلايا التي حلت بالمؤمنين، ثم لما أراد أن يبرز شعورهم واضطرابهم وشدة خوفهم أفرد

(١) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني – محمد محمد أبو موسى– صـ٢٦٨– الناشر: مكتبة وهبة–الطبعة: السابعة.

(٢) السراج المنير ٣/٢٢٦.

من بين تلك الابتلاءات الزلزلة التي نزلت بهم، فكان في قوله: (وَزُلْزِلُواْ) إطناب بذكر الخاص بعد العام حتى كأنه غير داخل في جنسه؛ للتنبيه على عظم أثره، وشدة وقعه في نفوس المسلمين وكأنه لم تكن هناك بلية أشد ولا أقوى من هذه الزلزلة التي جعلتهم يتخبطون وينزعجون، وكان في نزولها؛ تمحيصٌ لصفوف المسلمين، فقد ميزت المؤمن الخالص من المنافق من الخائف وغير ذلك من الفئات التي ظهرت في تلك الغزوة.

وقد وقع الوصل بين الجمل للتوسط بين الكمالين في قوله:(ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا) حيث وقع الوصل بالواو بين قوله:(ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ) وقوله:(وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا) حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى مع وجود ما يسوغ الجمع بينهما، فقد جمع بينهما التناسب التام والتلاؤم والترابط من حيث كونها كلها بلايا ومصائب نزلت بالمؤمنين في تلك الغزوة، وسره بيان شدة ما نزل بالمؤمنين وعظيم مصابهم وما اجتمع عليهم.

وقد ارتبطت تلك الآية بسابقتها عن طريق المجاز بالاستعارة (هنالك) حيث استعار اسم الإشارة الموضوع للمكان للزمان على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وقد اشتملت تلك الآية الكريمة على تصوير مشاهد الفزع والخوف التي نزلت بالمؤمنين في تلك الغزوة في قوله:﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ فالإشارة هنا لصور عديدة اشتملت عليها الآية، كالصورة الحسية والتي تمثلت في زيغ الأبصار في قوله:(وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ) [1] وهي كناية عن شدة الخوف والرعب، والصورة النفسية والتي صورت القلوب وهي ترتعد وتضطرب وترتعش، وتخفق وتخرج عن مستواها الطبيعي إلى مرحلة بلوغ الحناجر في قوله: (وبلغت

(١) وصف لشدة الخوف، فالعيون من شدة الخوف تتحرك زائغة يمينًا وشمالًا، والقلوب يشتد خفقانها حتى كأنها ترتفع من مكانها إلى الحناجر. التفسير الحديث – دروزة محمد عزت– – الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة –الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

القلوب الحناجر) وهي كناية عن شدة الخوف وذلك" لأن القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة وقد يفضي إلى أن يسد مجرى النفس فلا يقدر المرء أن يتنفس ويموت من الخوف"[١]، فهي تصوير لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع حتى كأنها لاضطرابها تتجاوز مقارها وترتفع طالبة الخروج من الصدور، فإذا بلغت الحناجر لم تستطع تجاوزها من الضيق، فشبهت هيئة قلب الخائف المرتعد بهيئة قلب تجاوز موضعه وذهب متصاعدًا طالبًا الخروج، فالمشبه القلب نفسه باعتبار اختلاف الهيئتين [٢].

وكذلك تصوير حركة الأذهان وما يدور فيها من تصورات وأوهام في تقويم الحدث في قوله: (وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠) [٣]، حين اهتزت أذهانهم بالظنون والأوهام وقد كان السبب في تلك الظنون والأوهام مواقف المنافقين والمخذلين من داخل الصفوف لزرع البلبلة في صفوف المؤمنين، وبث الريبة في وعد الله لهم[٤]، ففي تلك الآية تصوير للموقف من كل جوانبه الحسية والنفسية والقلبية والذهنية، واجتماع كل تلك الصور يوحي بصعوبة الموقف، واشتداد الكرب وقوة الضيق الخانق، وقد استدعى كل ذلك التفصيل والسرد للأحداث التعبير بـ(زُلزِلوا) و(زِلزَالًا) فهو أنسب وأقرب لوصف تلك المشاهد والحالات التي سيطرت على المؤمنين.

---

(١) مفاتيح الغيب –أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ١٦٠/٢٥–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(٢)ينظر التحرير والتنوير ٢٨٠/٢١.

(٣) إشارة إلى أنها ظنون كثيرة مختلفة، تعاود الشخص الواحد، كما أنها تختلف من شخص إلى شخص.. فهناك من المؤمنين من هم على يقين من أمر ربهم، فلا يظنون إلا خيرًا، وهناك من المؤمنين من لم يعصمهم إيمانهم من ظنون السوء، فظنوا بالله غير الحق، ظن الجاهلية. التفسير القرآني للقرآن– ٦٦٣/١١.

(٤) ينظر بتصرف وظيفة الصورة الفنية صـ٢٤٦.

"خاتمة البحث"

الحمد لله الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

ففي هذه الرحلة الممتعة والماتعة التي ارتحلت فيها مع بعض آيات الذكر الحكيم، أودُّ أن أضع يدي القارئ على بعض اللمسات الساحرة التي لمستها من خلال هذا البحث، وأن أبرز جانبًا من جوانب إعجاز القرآن واستعماله للألفاظ بأكثر من معنى حسب ما يقتضيه السياق ويستدعيه المقام، وأن أغور في بحر أسراره ومكنوناته ودقائقه وأسراره، والتي لو استطعت الوقوف عليها، لا أزعم أنني أقف على كل مكنوناته وأسراره التي تكمن بداخله.

وسوف أبرز هذه اللمسات في بعض النقاط التالية:

أولاً: اتكأت الآيات الواردة في المبحث الأول والتي استعمل فيها لفظ الزلزلة وما اشتق منه استعمالًا حقيقيًّا، على بعض الأسرار والنكات البلاغية، فبادئ ذي بدئ ورد لفظ (زَلزَل) في المبحث الأول بصورة الاسم(زلزَلة) وكذلك بصورة الفعل المبني لما لم يُسمَّ فاعله (زُلزِلت) ومفعوله المطلق(زِلزالًا)، وقد اختص بالحديث عن الزلزلة التي تسبق قيام الساعة، ثم يتبعها البعث والحساب، وهذا أمر عظيم، ومشهد مهيب، وخطب جسيم استدعى ذلك المشهد هذا اللفظ دون غيره؛ لما يحمله من سمات لفظية ومعنوية، ويكمن فضل التعبير بلفظ(زلزلة) في بيان شدة حركة الزلزلة، وذلك؛ لأن لفظ الزلزلة يفيد الحركة الشديدة والاضطراب، بسبب تكرار الحرف، فالحرف الأول والثالث من جنسٍ واحِد، والحرف الثاني والرابع من جنسٍ واحِد، فهذا التكرار يفيد حركة واضطرابًا، وكذلك ما يحمله صوت الزاي من صفير يشعر بوقوع أمر مهول ومفزع حقًّا، وقد فصَّل البحث القول في هذا الأمر

وقد وقع لفظ (زلزلة) في الموضع الأول من هذه المواضع وهو الوارد في سورة الحج في قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج:١]معرفًا بالإضافة؛ لتهيئة السامع إلى هذا الأمر العظيم وهو قيام الساعة، فهي زلزلة لم تكن معهودة من قبل في الدنيا بل هي الفاصلة بين دار الحق والباطل، بين الدنيا والآخرة وهذا فيه ما فيه من إدخال الرعب والفزع والرهبة في نفوس السامعين، وقد وردت هذه اللفظة في جملة (إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيم) التي جاءت جوابًا لسؤال مقدر تضمنته الجملة الأولى، ثم هي نفس الجملة تضمنت سؤالًا جاءت الجملة بعدها جوابًا له في قوله:(يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا) ومجيء الجملة مرة جوابًا وأخرى سؤالًا بطريق الفصل لشبه كمال الاتصال، والذي فيه ما فيه من التأكيد والتقرير للمعنى في ذهن السامع يشعره بقوة الحدث، ويبين شدة وقعه في نفسه، ويعمل على لفت انتباهه، وإيقاظ حسه وتنبيهه.

وقد كان لتلك اللفظة في هذا الموضع أثر عظيم في تصوير المشهد يوم القيامة، وقد بنيت الآيتان في سورة الحج على هذه اللفظة وقوتها في التأثير، فقد تحدثت الآية الثانية عن النتائج المترتبة على هذه الزلزلة على بني البشر كالمرضعة والحامل، والناس جميعًا يصبحون كالسكارى من هول المشهد.

كل هذه المعاني التي اشتمل عليها لفظ الزلزلة، والنتائج التي ترتبت عليه، استدعى مجيء أساليب بلاغية أخرى، كالإيضاح بعد الإبهام وما فيه من خلابة وخفاء وغموض، وكذلك المجاز العقلي، والذي أفاد المبالغة في إظهار شدة الموقف وأثره العظيم في نفوس الخلائق، والتعبير بالنكرة لإفادة التهويل والتفظيع والتحذير والتخويف، كل تلك الملاحظات وقف عليها البحث بالتحليل والتفصيل والسرد.

ثانيا: الموضع الثاني في المبحث الأول في سورة الزلزلة في قوله تعالى: (إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا) ورد فيها الفعل المضاعف الرباعي ماضيًا مبنيًّا لما لم

يسم فاعله مؤكدًا بمفعوله المطلق؛ للدلالة على أن وقوع الزلزلة للأرض أمر محتوم، والتأكيد على انصباب الاهتمام على الحَدث ذاته وبيان درجة الزلزلة من حيث القوة وشدة التأثير.

وكذلك استطاع الفعل ومصدره أن يصورا الحالة النفسية والانفعالية للناس وقت قيام الساعة، فقد ارتجفت قلوبهم وارتعدت، وأصابها الخوف والزعر من شدة المشهد، وكأن التعبير القرآني يرسم صورة الزلزلة الحسية وآثارها في نفوس السامعين، ويشعرهم بأن الدنيا دار فناء لا دار بقاء وأن الاستقرار عليها له وقت معلوم

وقد خرجت آية الزلزلة في ثوب أسلوب الشرط والجزاء، فجعلت المشهد أقوى تأثيرًا وأشد وقعًا في نفوس المتلقين؛ لما فيه من إثارة الشوق واللهفة والترقب لدى المتلقي، فإنه إذا ما سمع الشرط ظل مترقبًا ومتلهفًا للوقوف على الجزاء، فإذا ما وقف عليه عرف الهدف وراء الشرط؛ فالعلاقة بين الشرط والجواب هي علاقة النتيجة بالسبب، فهو من الأساليب الخبرية التي تحقق الهدف المنشود والثمرة المرجوة من أيسر طريق، وأسرع سبيل.

ثالثًا: استعمال المضاعف الرباعي (زلزل) استعمالًا مجازيًّا، ورد في صورة المبني لما لم يسم فاعله في الموضع الأول الوارد في المبحث الثاني، وكذلك في الموضع الثاني إلا أنه ورد مؤكدًا بمفعوله المطلق، وقد خرج في الموضعين في ثوب المجاز بالاستعارة التصريحية، ويلمح من خلال استعماله في غير ما وضع له، عندما استعير لبيان شدة الهلع والاضطراب الذي ألمَّ بنفوس المؤمنين سواء في الموضع الأول أو الثاني، أنه استطاع أن يجسد تلك الحالة التي نزلت بالمؤمنين، ويصور تلك الهزة القوية والعنيفة التي أصابتهم سواء الحسية أو النفسية، وكذلك يفيد التعبير به التضعيف والذي بدوره يفيد المبالغة والتهويل والتعظيم، فكأنه هلع بعد هلع، وخوف بعد خوف، وفزع فوق فزع .

وقد اعتمدت الصورة الأولى من هاتين الصورتين والتي وردت في سورة

البقرة في قوله:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ ﴾[البقرة:٢١٤] على بعض الأساليب البلاغية، فالمقام مقام تثبيت المؤمنين وطمأنة قلوبهم لذا استدعى الحديث عن السابقين بشيء من التفصيل، قد ذكر جملة (زُلْزِلُواْ) من باب ذكر الخاص بعد العام؛ للتنبيه على شدة وقعه، وقوة أثره، فقد جاء العام وهو البأساء والضراء، والزلزلة من ضمن البأساء والضراء الواقعة عليهم ولكن لما فيها من شعور نفسي وأثر كبير في نفوس المؤمنين خصها بالذكر، وكذلك استخدم التعبير بطريق الفصل لشبه كمال الاتصال فقد وقع الفعل(زلزل) ضمن الجملة التي وقعت جوابًا لسؤال مقدر تضمنته الجملة الأولى في قوله: (أم حسبتم) وقد استدعى المقام من أجل تثبيت أفئدة المؤمنين المضطربة أسلوب الاستفهام(أم حسبتم... متى نصر الله) والذي بدوره يعمل على إثارة حس المتلقي، وتنبيهه وتنشيط ذهنه، وجذب انتباهه لاستيعاب وفهم الغرض من الآية وهو إدخال الطمأنينة على قلبه وتثبيت فؤاده، وبث الأمل في نفسه.

رابعًا: في الموضع الثاني من المبحث الثاني في سورة الأحزاب في قوله تعالى:﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:١١] ناسب المقام والسياق استعمال الفعل (زلزلوا) ومصدره(زلزالًا) وقد عبر به بعد ذكر الابتلاء بطريق إيجاز القصر في قوله:(ابتلى المؤمنون)، فالابتلاء لفظ يشتمل على معان كثيرة إذ يكون في المال والولد ويكون بالبأساء والضراء وغير ذلك من الابتلاءات؛ إذ المقام مقام حديث عن غزوة الأحزاب وما حدث للمؤمنين فيها فكثرة الأحداث، وتسارعها وتعدد المشاهد والأهوال اقتضت ذكر الابتلاءات مجتمعة في لفظ(ابتلي)؛ إذ الابتلاء يشتمل على الزلزلة والاضطراب والخوف.

فلما كان لتلك الزلزلة وهذه الهزة العنيفة أثر عميق في نفوس المسلمين في تلك الغزوة آثر الذكر الحكيم ذكر الخاص(زلزلوا) بعد العام(ابتلي)؛ للتأكيد

عليه وبيان شدة وقعه وقوة أثره.

وفي النهاية يستطيع البحث التأكيد على أن استعمال الفعل بمعناه الحقيقي جاء مناسبًا للمقام والسياق، فقد أفاد التهويل والتفظيع من أمر تلك الزلزلة الحقيقية التي تسبق قيام الساعة ثم يعقبها البعث والحساب.

وعند استعماله بمعناه المجازي جاء مناسبًا للسياق والمقام –أيضًا– ؛ إذ المقام مقام استطراد وحديث مفصل عما أصاب المؤمنين في هاتين الغزوتين فجاءت الزلزلة بعد سرد الأحداث تبين قمة الهلع والرعب والفزع.

ثبت المصادر والمرجع

-أسباب النزول- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) - مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع-دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز مكة المكرمة- سنة١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م.

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان-عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

-الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق-عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ) الناشر: دار المعارف- الطبعة الثالثة.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)- تح/ محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

-البحر المحيط في التفسير-أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)- تحقيق- صدقي محمد جميل- الناشر: دار الفكر- بيروت- لبنان- الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

-البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)- تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان- الناشر د/ حسن عباس زكي - القاهرة-الطبعة: ١٤١٩هـ

-البلاغة العربية- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) -الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- تاج العروس من جواهر القاموس- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) - تحقيق مجموعة من المحققين- الناشر: دار الهداية.

-التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر - تونس- سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

-التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن

فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) –تحقيق د/ الصادق بن محمد بن إبراهيم–الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض–الطبعة: الأولى.

–التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان –محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) – ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)– أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)– دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية –الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

–التفسير الحديث – دروزة محمد عزت– – الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة –الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

– تفسير الشعراوي– محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) –مطابع أخبار اليوم– نشر عام ١٩٩٧ م).

–التفسير القرآني للقرآن– عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) – دار الفكر العربي – القاهرة .

–تفسير المراغي– أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)–شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر– الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦ م.

–تفسير المنار– محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)– الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب– سنة النشر: ١٩٩٠م.

– تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية – لبنان.

– تهذيب اللغة– محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق/محمد عوض مرعب– دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

–التيسير في أحاديث التفسير– محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ) –الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان–الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

-جماليات المفردة القرآنية-أحمد ياسوف- دار المكتبي – دمشق- الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)-ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي- الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
-الخصائص- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)-الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتب-الطبعة: الرابعة.
-خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني - محمد محمد أبو موسى- الناشر: مكتبة وهبة-الطبعة: السابعة.
-خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية- د/عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) – مكتبة وهبة- الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
-روح البيان-إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)- الناشر: دار الفكر – بيروت.
-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) -المحقق: علي عبد الباري عطية- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
-زهرة التفاسير- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) – دار النشر: دار الفكر العربي.
-سنن الترمذي- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق -أحمد محمد شاكر -محمد فؤاد عبد الباقي- إبراهيم عطوة عوض- شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر-الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
-شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف – شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز أو دنقوز (المتوفى: ٨٥٥هـ)- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الثالثة، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
-صفوة التفاسير -محمد علي الصابوني- دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

-العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة- محمود توفيق محمد سعد أستاذ البلاغة والنقد ورئيس قسم في كلية اللغة العربية جامعة الازهر الشريف شبين الكوم- الناشر جامعة الأزهر الشريف- سنة النشر الطبعة الاولى ٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ.

-فتح القدير- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)- دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت-الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

-الفروق اللغوية- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)-حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم-الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

- الكتاب- عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) تحقيق- عبد السلام محمد هارون- الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة-الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

-كتاب العين -أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)- تحقيق/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال.

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المتوفى: ٥٣٨ هـ) -دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

-الكنز في القراءات العشر- أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: ٧٤١هـ)- تحقيق/ د- خالد المشهداني-الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة-الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

-اللباب في علل البناء والإعراب- أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ) - تحقيق/ د/ عبد الإله النبهان- الناشر: دار الفكر – دمشق- الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

-لمسات بيانية في نصوص من التنزيل- فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي- دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن- الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
-المحكم والمحيط الأعظم- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] تحقيق/عبد الحميد هنداوي- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
-مفاتيح الغيب -أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) -الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت-الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
-المفتاح في الصرف-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)-حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحَمَد، كلية الآداب – جامعة اليرموك – إربد – عمان- مؤسسة الرسالة – بيروت-الطبعة: الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).
-من بلاغة القرآن الكريم- أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)- الناشر: نهضه مصر – القاهرة-عام النشر: ٢٠٠٥م.
-الميزان في أحكام تجويد القرآن – زكريا العبد – الناشر: دار الإيمان – القاهرة. سنة الطبع ٢٠١٠م
-النكت والعيون -تفسير الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) تحقيق/ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
وظيفة الصورة الفنية في القرآن-عبد السلام أحمد الراغب - دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

"فهرس الموضوعات"

المقدمة	١٦٦١
التمهيد	١٦٦٦
المبحث الأول	١٦٧٣
المبحث الثاني	١٦٩٨
الخاتمة	١٧١٤
ثبت المصادر والمراجع	١٧١٩
فهرس الموضوعات	١٧٢٤